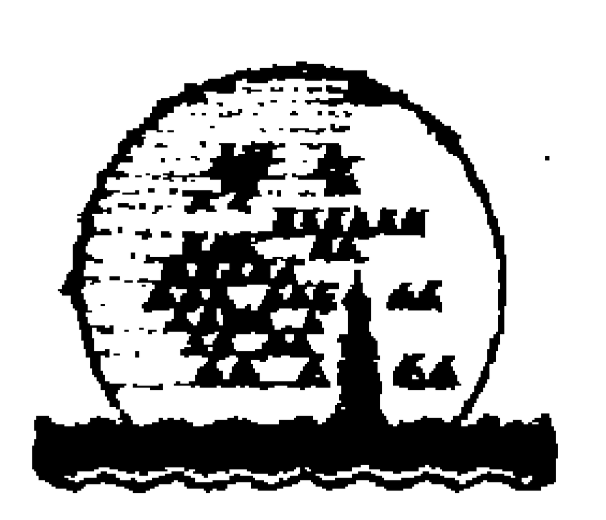
أروع ما قيل في الفخر

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت

الفهرس

الباب الثاني

الباب الثالث

المقدمة

الفخر أحد أبرز الأغراض الشعرية التي حفل بها الشعر العربي على امتداد عصوره، باستثناء عصرنا الحديث. وهو يضارع المدح لجهة كونه قائماً على الإشادة بفضائل النفس، وتعداد مآثرها ومناقبها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المدح يتوجه به الشاعر إلى شخص الممدوح الخارج عنه، في ما ينصب الفخر على امتداح الشاعر لنفسه، وتعظيمه صفاتها، وهذا ما يدعى بالفخر الذاتي.

وقد يتجاوز الفخر نطاق الذات ليفخر الشاعر بفضائل قومه، ويطري على أمجادهم، وهو الفخر الجماعي.

وقد يجمع الشاعر بين الفخرين فيكون الفخر ذاتياً وجماعياً، في آن، وهو في جميع أحواله ملتصق أشد الالتصاق بشخصية الشاعر، وتالياً هو نوع من التعبير عن الذات، ومظهر من مظاهر إعجاب الشاعر بنفسه، المفطورة على حب الظهور، والنزوع إلى التفوق والاقتدار.

وبواعث الفخر كثيرة منها الداخلي الصادر عن نفس كبيرة طموح، ومنها الخارجي، وهو الذي تثيره المكايد والعداوة والانتقاد.

ومعاني الفخر متعددة ومتنوعة، يغلب عليها الطابع التقليدي المعنوي، وإن كان أبرزها، إطلاقاً، الفخر بالشجاعة، والبطولة، وطيب المحتد، والشرف، والسؤدد، والكرم، والحلم، وحصافة الرأي، وشدة عارضة اللسن والفصاحة والبيان، وغير ذلك مما لا يمكن حصره. على أن السمة التي غلبت على الفخر في بعض عهوده، ولا سيما في العهد الجاهلي والإسلامي، كانت تلك التي طبعت الفخر بطابع الحماسة، وهي تتمثل بالتغني بالبطولة، والنجدة، والشجاعة، والإقدام والاندفاع، حتى أن أبا تمام، الشاعر العباسي، لما وضع كتابه الذي جمع فيه أفضل الشعر المتقدم، على اختلاف أغراضه، لم يؤثر عنواناً آخر له أفضل من عنوانه الموسوم بـ: ديوان الحماسة، أي الفخر البطولي الخلقي. هذا الفخر الذي يسمو بالنفس، إلى علٍ، ويحثها على التمسك بالقيم والمثل والأخلاق.

يستنتج من ذلك أن الفخر، وخلافاً لما قد يبادر إلى بعض الأذهان، ليس بالضرورة أن يكون ذلك الفخر الذي يعتوره السقام فهو خلو من الفضيلة، ويحمل طابع الغلو والاعتداد بالنفس والمباهاة، بل ثمة نوع آخر منه، وهو أفضله وأسماه،

عنيت الفخر الحماسي الذي يهذب النفس، ويهز الأريحية، ويذكي نار الحماس والقوة والشجاعة والإقدام.

ولقد غلب الفخر على سائر أغراض الشعر العربي الجاهلي انطلاقاً من غلبة النزعة الفردية والقبلية، ومن وحي الحروب التي عاشتها القبائل، ومن المنافرات والمناظرات، فكان الفخر بنوعيه الذاتي والجماعي، وذلك لأن الشاعر هو الناطق بلسان قومه، وهو المظهر لفضل القبيلة، المبيّن لمآثرها، الذائد عن شرفها. وما أكثر شعراء الفخر الذين حفل بهم العصر الجاهلي، وإن كان أبرزهم الأعشى، وطرفة، وعنترة، ولبيد، وعمرو بن كلثوم.

ولما أن جاء الإسلام تراجع الفخر قليلاً إلى الوراء، إلاّ ما حمل منه طابع الحديث عن القيم الخلقية والروحية بوحي من الدين الجديد، وما استعاد الفخر سابق مجده إلا في العصر الأموي، على أيدي شعراء الهجاء والنقائض، وعدد من شعراء الخوارج خاصة.

ومع إطلالة العصر العباسي ضعفت وتيرة الفخر الجماعي، وبرز نوع من الفخر الذاتي الوجداني ممثلاً بعدد من الشعراء الأفذاذ أمثال أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس، والشريف الرضي.

ونحن في هذا الكتاب الذي قسمناه إلى ثلاثة أقسام رئيسية

هي : الفخر الذاتي، والفخر الجماعي، والفخر المشترك، وددنا لو نشرك القارىء في أمر اختيارنا أفضل ما قيل في شعر الفخر بأنواعه الثلاثة، ومن هنا كان اسم الكتاب: أروع ما قيل في الفخر. فإن سرّ قارئنا العزيز ما اخترناه له منه فنعمّا ذلك، وإن ساءه، أو أضرّ بذوقه فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق، وسوء الاختيار. .

وإلى اللقاء مع غرض آخر من أغراض الشعر الغنائي العربي.

د. يحيى شامي

الباب الاول

الفخر الذاتي

باعث بن صريم

(فلففتها بكتيبة أمثالها)

من الشعر الفخري الجيد، وفيه الاعتداد بالنفس، والتغني بالبطولة والإقدام، قول باعث بن صريم، الشاعر الجاهلي، وهو الذي ثأر لمقتل أخيه وائل، قتله بنو تميم، وكان مبعوثاً من قبل عمرو بن هند، ملك اللخميين، فحلف باعث أن يقتل منهم مقتلة عظيمة حتى يملأ دلواً من دمائهم. وهذا ما فعله. يقول باعث[1]:

سائلْ أُسَيِّدَ هل ثأرتُ بوائلٍ
أم هل شفيتُ النفسَ مِنَ بَلْبالِها[2]

(1) ديوان الحماسة ١/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(2) أسيِّد، اسم قبيلة. وبلبالها: اهتمامها بطلب الثأر.

إنّي وَمَنْ سمكَ السماءَ مكانَهَا
والبدرَ ليلةَ نصفِها وهلالها[1]
آليتُ أثقفُ منهمُ ذا لحيةٍ
أبداً فتنظرُ عينُه في مالها[2]
وخمارِ غانيةٍ عقدتُ برأسِها
أُصُلاً وكانَ منشّراً بشمالها[3]
وعقيلةٍ يسعى عليها قيّمٌ
متغطرسٌ أبديْتُ عن خلخالها[4]
وكتيبةٍ سُفْعِ الوجوهِ بواسلٍ
كالأسْدِ حين تذبُّ عن أشبالها[5]
قد قدتُ أوّلَ عنفوانِ رعيلِها
فلففْتُها بكتيبةٍ أمثالِها[6]

* * *

(١) سمك السماء: رفعها.

(٢) آليت: حلفت. وأثقف: أظفر. أي هو أقسم أن لا يدع ذا لحية من القوم، أي سيداً كريماً منهم، إلا قتله.

(٣) الغانية: الفتاة الحسناء. وهنا يبين أنه كم من فتاة سباها أول النهار وقد عقدت خمارها برأسها بعدما كان منشراً بشمالها لحيرتها وخوفها.

(٤) العقيلة: الكريمة من النساء. وهنا يبين كم من عقيلة أغار على حيها فشمرت ساقها هرباً فظهر خلخالها.

(٥) سفع الوجوه: سودها.

(٦) العنفوان: أول الشيء. والرعيل: الخيل. والكتيبة: الجيش.

(إن كنت عاذلتي فسيري)

ومن رائع الفخر فخر المنخل بن مسعود اليشكري، الشاعر الجاهلي الذي نادم النعمان بن المنذر، وهو يفخر بشجاعته وجوده. يقول المنخل[1]:

إنّ كـنـتِ عـاذلـتـي فـسـيـري
نـحـوَ الـعـراقِ ولا تـحـوري[2]
لا تـسـألـي عـنْ جُـلِّ مـالـي
وانْـظري كـرمـي وخِـيـري[3]
وفـوارسٍ كـأُوارِ حـرِّ الـنـارِ
أحـلاسِ الـذكـور[4]
شـدّوا دوابـرَ بَـيْـضِـهـم
فـي كـلِّ مـحـكـمـةِ الـقـتـيـر[5]

---

(١) ديوان الحماسة ١/٢٠٢ - ٢٠٦.

(٢) تحوري: ترجعي. وعاذلتي: لائمتي.

(٣) جل الشيء: معظمه. والخير: الكرم.

(٤) وفوارس، أي ربَّ فوارس. والأوار: اللظى. وأحلاس الذكور: ملازمون لظهور الخيل.

(٥) الدوابر: الأواخر. والبيض، جمع بيضة، وهي ما يوضع على الرأس، وتكون من حديد. والقتير: مسامير الدروع.

واستلأموا وتلبّبوا
إنَّ التّلبُّب للمغير[1]
وعلى الجيادِ المضمَراتِ
فوارسٌ مثلِ الصّقور
أقررْتُ عيني مِن أولئك
والفوائحِ بالعبير[2]
وإذا الرياحُ تناوحتْ
بجوانبِ البيتِ الكسير[3]
ألفيتنِي هشَّ اليدَيْنِ بمَري
قِدحي أو شجيري[4]
ولقد شربتُ مِن المدامةِ
بالصّغيرِ وبالكبير[5]
فإذا انتشيْتُ فإنني
ربُّ الخورنقِ والسّدير[6]

(١) استلأموا: لبسوا اللأمات، أي الدروع. وتلببوا: لبسوا اللبب، أي الدروع.

(٢) الفوائح بالعبير، كناية عن النساء.

(٣) تناوحت: هبّت من كل ناحية. وهنا، كناية عن الجدب. والكسير: المكسور.

(٤) هش: خفيف. ومري: إجالة. والقدح: ما يضرب به عند الأصنام. وهنا كناية عن الجود.

(٥) المدامة: الخمرة.

(٦) الخورنق: قصر للنعمان بن المنذر. والسدير: اسم نهر ناحية الحيرة.

وإذا صحوْتُ فإنني
ربُّ الشُّوَيْهةِ والبعير

* * *

حسيل الضبّي

(جعلت لبان الجون للقوم غاية)

انتجع بنو ضبة أرض بني عامر بالشريف فطلبهم بنو عامر، فسار حسيل بن سجيح الضبي، الشاعر الجاهلي، في أخريات بني ضبة مانعاً بني عامر من النيل منهم وقال مفتخراً، وقد ذكر كل صنوف السلاح(1):

لقد علمَ الحيُّ المصبِّح أنني
غداةَ لقينا بالشُّرَيْفِ الأحامسا(2)

جعلتُ لبانَ الجونِ للقوم غايةً
مِنَ الطّعنِ حتى آض أحمرَ وارسا(3)

وأرهبتُ أولى القوم حتى تنهنهوا
كما ذدت يومَ الوردِ هِيماً خوامسا(4)

(1) ديوان الحماسة ١/٢٢١ - ٢٢٣.

(2) الشريف: اسم ماء لبني نمير بنجد. والأحامس: المتحمسون في الدين، ويطلق على قريش خاصة، وأحلافها.

(3) الجون: الفرس الأسود أو الأبيض. واللبان: الصدر. والورس: نبت أحمر، وآض: صار.

(4) تنهنهوا: كفّوا ورجعوا. والهيم من الدواب. ما أصابها الهوام، وهو داء يصحبه العطش. والخوامس: العطاش.

بِمـطَّردٍ لـدْنٍ صحـاحٍ كـعـوبُـه
وذي رونقٍ عَضْبٍ يقـدُّ القـوانسـا[1]

وبيضـاءَ مِن نسـجِ ابـنِ داودَ نثـرةٍ
تخيّـرتُها يـومَ اللقـاءِ المـلابسـا[2]

وحِـرميّـةٍ منسـوبـةٍ وسـلاجـمٍ
خفافٍ ترى عن حدِّها السُّمَّ قـالسا[3]

فمـازلتُ حتى جنّني الليـلُ عنهـمُ
أطـرّفُ عنّي فـارسـاً ثم فـارسـا[4]

ولا يحمدُ القومُ الكرامُ أخاهم العتيـدَ
السـلاحِ عنهـمُ أنْ يـمـارسـا[5]

* * *

---

(١) المطرد: الرمح. واللدن: اللين. والكعاب والكعوب: ما يفصل بين عقدتي الرمح. ورونق السيف: ماؤه وحسنه. والقوانس: أعلى بيض الحديد. ويقد: يقطع. والعضب، صفة للسيف.

(٢) البيضاء، صفة للدرع. وابن داود، يراد به داود نفسه، النبي، وكان يصنع الدروع. والنثرة: المحكمة النسج.

(٣) الحرمية، صفة للقوس المتخذة من شجر الحرم. والسلاجم: الطوال من السهام.

(٤) أطرف: أدفع. وجنني الليل: حال بينهم وبيني.

(٥) العتيد: المعد السلاح.

(يعين نساء الحيّ ما يستعنّه)

ومن أروع الفخر، شعر عروة بن الورد بن زيد بن عمرو العبسي، وهو الشاعر الجاهلي المتقدم، وأحد أبرز الشعراء الفرسان من الصعاليك الأجواد، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم.

يقول عروة فاخراً بنجدته وشجاعته وخلقه[1]:

لحا اللّهُ صعلوكاً إذا جنَّ ليلُه
مُصافي المشاشِ آلفاً كلَّ مَجْزَرِ[2]

يعدُّ الغِنى مِن نفسِه كلَّ ليلةٍ
أصابَ قِراها مِن صديقٍ ميسَّرِ[3]

ينامُ عشاءً ثم يصبحُ ناعساً
يحتُّ الحصا عن جنبِه المتعفّرِ[4]

يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعنَّهُ
ويُمسي طليحاً كالبعيرِ المحسّرِ[5]

(١) ديوان الحماسة ١/١٥٩ - ١٦١.

(٢) لحا: لعن. والصعلوك: الفقير. والمصافي: المختار الملازم. والمشاش: العظم الذي يمضغ. والمجزر: موضع نحر الإبل.

(٣) قراها: ضيافتها.

(٤) يحت: يفرك.

(٥) المحسر: المعيي، ومثله الطليح.

ولكنَّ صعلوكاً صفيحةُ وجههِ
كضوْءِ شهابِ القابسِ المتنوِّر[1]
مُطلاًّ على أعدائِه يزجرونه
بساحتِهم زجرَ المنيحِ المشهّر[2]
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابَه
تشوُّفَ أهلِ الغائبِ المتنظّر[3]
لذلك إنْ يلقَ المنيّةَ يلقَها
حميداً وإنْ يَستغنِ يوماً فأجدر

* * *

(وكفيت جانيها اللّتيا والتي)

لسلمى بن ربيعة، من بني السيد بن ضبة، الشاعر الجاهلي، والذي فارقته زوجته واسمها تماضر، عاتبة عليه في استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب، له أبيات فخرية رائعة يشيد فيها بمحله في الفضل، والعطاء في اليسر والعسر،

---

(١) القابس: طالب النار. والمتنور: طالب النار من بعيد.
(٢) المنيح: قدح من قداح الميسر، ولا حظ له من الربح.
(٣) تشوف: تطلع. أي أن أعداء الصعلوك يخافونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون عودته تماماً كما يفعل أهل الغائب المترقب رجوعه.

وفي رأب صدع العشيرة وإصلاح ذات البين. يقول سلمى[1]:

زعمتْ تماضرُ أنّني إمّا أمتْ
يسددْ أُبَيْنُوها الأصاغرُ خلّتي[2]

تربتْ يداكِ وهل رأيتِ لِقومهِ
مثلي على يسري وحينَ تعلّتي[3]

رجلاً إذا ما النائباتُ غشينْه
أكفى لمعضلةٍ وإنْ هي جلّتِ[4]

ومناخَ نازلةٍ كفيتُ وفارسٍ
نهلتْ قناتي مِن مطاهُ وعلّت[5]

وإذا العذارى بالدّخانِ تقنّعتْ
واستعجلتْ نصبَ القدورِ فملّت[6]

دارتْ بأرزاقِ العفاةِ مغالقٌ
بيديَّ مِن قمعِ العشارِ الجلّة[7]

---

(١) ديوان الحماسة ١/٢١٢ - ٢١٤.

(٢) أمّا أمت: أصلها: إن أمت. وما: زائدة. والأبنيون: تصغير الإبناء. والخلة: الحاجة.

(٣) تربت: أي صار فيها التراب. للتوبيخ. والتعلة: العسر.

(٤) جلّت: عظمت.

(٥) مناخ مصدر أناخ. والنازلة: الداهية. والنهل: الريّ والامتلاء. والمطا: الظهر.

(٦) ملّت: عملت الملّة، وأدخلت الشيء في الملة، وهي الجمر.

(٧) العفاة، جمع عاف وهو السائل الرزق. والمغالق، جمع مغلق، وهو سهم=

ولقــد رأبتُ ثــأى العشيــرةِ بينَهــا
وكـفيـتُ جـانيـهَـا الـلّتـيّـا والـتي[1]
وصفحتُ عن ذي جهلِهـا ورفـدتُهـا
نُصحي ولم تـصبِ الـعشـيـرةَ زلّتـي
وكـفيـتُ مـولايَ الأحمَّ جـريـرتـي
وحبسـتُ سـائمـتي عـلى ذي الخـلّة[2]

* * *

(ولكن كل صعلوك ضروب)

ومن جيد الفخر الذاتي ما قاله أحد أشهر صعاليك العرب، وهو السليك بن السلكة، والسلكة أمّه، وكانت سوداء حبشية. أما السليك فيعد من أغربة العرب، واسم أبيه عمير السعدي. يقـول السليك مفتخـراً بنفســه، مشيـداً ببـطولتـه، وبـإبـائـه الضيم[3]:

= الميسر. والقمع؛ جمع قمعة وهي رأس السنام. والعشار، جمع عشراء وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر.

(١) الرأب: الإصلاح. والثأى: الفساد، واللتيا، تصغير التي، وهما اسمان لما صغر وكبر من الدواهي.

(٢) المولى: ابن العم. والأحمّ: القريب. والجريرة: الجناية. والسائمة: المال الراعي. والخلة: الحاجة.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/٣١٠.

ألا عـتـبـتْ عـليَّ فـصـارمـتْـنـي
وأعـجبـهَـا ذَوُو الّـلـمـمِ الـطّوالِ[1]

فـإنـي يـا ابْـنـةَ الأقـوامِ أربـى
على فعـلِ الـوضيِّ من الـرجـال[2]

فـلا تـصـلي بـصـعـلوكٍ نـؤومٍ
إذا أمـسـى يُـعـدُّ مِـنَ الـعـبـال[3]

ولـكـنْ كـلّ صـعـلوكٍ ضـروبٍ
بِنصـلِ السيفِ هـامـاتِ الـرجـال[4]

أشـاب الـرأسَ أنّـي كـلَّ يـومٍ
أرى لـي خـالـةً وسْطَ الـرحـال[5]

يـشـقُّ عـليَّ أن يـلقَـيْـنَ ضِـيْـمـاً
ويـعـجـزُ عـن تـخلـصِـهـنَّ مـالـي

* * *

(١) صارمتني: هجرتني. وذوو اللمم، أي الجمم، وهي مقدم شعر الرأس.

(٢) الوضيّ: الجميل.

(٣) لا تصلي، أي لا تتصلي. والصعلوك: الذي لا مال له. ونؤوم، كناية عن البلادة والكسل. والعبال، جمع عبل، وهو الضخم من كل شيء.

(٤) هامات الرجال: رؤوسهم.

(٥) الخالة وسط الرحال، إشارة منه إلى أنه كان يتوجع لخالاته لأنهن كنّ إماءً.

(وللجنّ منه شكله وشمائله)

ومن رائع شعر الفخر الذاتي، وألصقه بالوجدان، ذاك الشعر المنسوب إلى عبيد بن أيوب العنبري، وقيل هو لأحد لصوص بني سعد؛ وفي كلا الحالين فإن هذا الشعر ليدخل في صميم الشعر المنسوب إلى الصعاليك، لجهة الحديث عن الذات المتوحدة المتوحشة، والتغني بالبطولة الفائقة. يقول الشاعر(١):

فإني وتركي الإنسَ مِن بعدِ حُبِّهم
وصبريَ عمّنْ كنتُ ما إنْ أزايلُهْ(٢)

لَكالصّقرِ جلّى بعدَ مَا صادَ فتيةً
قديراً ومشويّاً عبيطاً خرادلُه(٣)

أهابوا به فازدادَ بعداً وصدَّهُ
عنِ القربِ منهمْ ضوءُ برقٍ ووابله(٤)

ألم ترني صاحبْتُ صفراءَ نبعةً
لها ربديٌّ لم تُفلّلْ معابله(٥)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٠٠.

(٢) أزايله: أفارقه، وإن، زائدة للتأكيد.

(٣) خرادله، جمع خردل، وهي القِطع، وعبيطاً: كان به بلهاً وجنوناً.

(٤) أهابوا به: دعوه.

(٥) النبعة، نوع من الشجر الصلب تتخذ منه القسيّ. والمعابل، جمع معبلة، =

وطـاتل احْتضـاني السيفَ حتى كأنمـا
يُــلاطُ بكشحي جفنُــه وحـمــائله[1]
أخــو فلواتٍ صــاحَبَ الجِنَّ وانتحى
عنِ الإنسِ حتى قــد تقضَّتْ وسـائله
لــه نـسبُ الإنـسيِّ يُـعــرف نـجــرهُ
ولِـلـجنِّ مـنــه شـكـلُه وشـمــائـله[2]

* * *

(إذا سدّ منه منخر جاش منخر)

هو أحد أبرز الشعراء الصعاليك المشهورين في الجاهلية، عرف بفتكه وشجاعته، واسمه في الأصل، ثابت، وكنيته أبو زهير، ولقبه تأبط شرا، لقبته به أمه يوم أن تأبط سكيناً وخرج، فلما سئلت عنه قالت: لا أدري، إنه تأبط شراً. والمهم أن الشاعر له في الفخر والحماسة والاعتداد بالنفس شعر يروق، وهو من أروع الفخر في الشعر العربي. ومن هذا الشعر ما قاله

= وهي السهم الخفيف. والربذي، نسبة إلى ربذ، وهو وتر القوس الشديد الحركة عند الاندفاع.

(١) الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع. ويلاط: يلصق. وجفن السيف: بيته الذي يوضع فيه. وحمائل السيف: ما يعلق به.

(٢) نجره: أصله وحسبه، والشمائل: الصفات.

يوم أن حاول قوم من بني لحيان، من هذيل، أن يأسروه فما استطاعوا إليه سبيلاً، فقال[1]:

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدَّ جِــدُّهُ

أضــاعَ وقــاسى أمــرَه وهُــو مــدبــرُ[2]

ولكنْ أخــو الحــزمِ الــذي ليس نــازلاً

بــهِ الخطبُ إلاّ وهْــو لِلقصدِ مبصــر[3]

فــذاكَ قريــعُ الــدهــرِ ما عــاشَ حُــوَّلٌ

إذا سُــدَّ منــه منخــرٌ جــاشَ منخر[4]

أقــولُ لِلحيــانٍ وقــد صفــرتْ لهــم

وِطــابي ويومي ضيّقُ الحجــرِ معــور[5]

هــمــا خــطّتــا إمــا إســارٌ ومِــنّــةٌ

وإمّــا دمٌ والقتــلُ بــالحــرِّ أجــدر[6]

---

(١) ديوان الحماسة ١/١٧ ـ ١٨.

(٢) يريد أن يقول إنه إذا نزل به مكروه ولم يجد ناصراً له فسبيله أن يحتال له.

(٣) الخطب: الأمر الشديد. وصاحب الحزم هو الذي يستعد للخطب قبل نزوله.

(٤) القريع: المجرب للأمور. والحوّل: البصير بها. وقوله: إذا سد منه منخر جاش منخر، كناية عن قدرته على الخلاص من الشدة.

(٥) لحيان: بطن من هذيل. وصفرت: خلت. والوطاب: أسقية اللبن، ومفردها وطب. وهنا إشارة إلى وطب العسل الذي صبّه على الصخر ووضع نفسه عليه، فنجا من القوم.

(٦) الإسار: الأسر. ومعنى ذلك أن ثمة أمرين إما الأسر والتزام المنة، وإما القتل، وهو المراد.

وأخرى أصادي النفسَ عنها وإنها
لَموردُ حزمٍ إنْ فعلتُ ومصدر[1]
فرشْتُ لها صدري فزلّ عن الصّفا
به جؤجؤٌ عبلٌ ومتنٌ مخصّر[2]
فخالط سهلَ الأرضِ لم يكدحِ الصفا
به كدحةً والموتُ خزيانُ ينظر
فأبْتُ إلى فهمٍ ولم أكُ آيباً
وكم مثلِها فارقتُها وهْي تصفر[3]

* * *

(يرى الوحشة الأنس الأنيس)

ومن أروع فخر تأبط شرا، وهو يعتبر من عيون شعر الصعلكة والفتك، قوله[4]:

وإني لَمُهدٍ مِن ثنائي فقاصدٌ
بهِ لابْنِ عمِّ الصّدق شمس بنِ مالكِ[5]

---

(١) أصادي: أداري.
(٢) الجؤجؤ: الصدر. والعبل: الضخم. والمخصّر: الدقيق. والمتن: الظهر.
(٣) فهم، اسم قبيلة، وتصفر، كناية عن الأسف.
(٤) ديوان الحماسة ١/٢٢ - ٢٣.
(٥) شمس بن مالك، ابن عم الشاعر.

أهــزُّ بــه في نــدوةِ الحـيّ عِــطفَــه
كمـا هزَّ عـطفي بـالهجـانِ الأوارك[1]

قـليــلُ التـشكّـي لِلمُـهِمّ يُـصيـبُـه
كثيـرُ الهوى شتّى النّـوى والمسـالـك

يــظلُّ بِـمَــوْمـاةٍ ويُمـسي بـغيـرِهـا
جحيشاً ويَعْرَوْري ظهـورَ المهالـك[2]

ويسبقُ وفـدَ الـريـحِ مِن حيثُ ينتحي
بـمنـخـرقٍ مِن شــدِّه الـمتـدارك[3]

إذا حـاصَ عينيْه كـرى النّـوم لم يـزل
لـه كالئٌ مِن قلبِ شيحـانَ فاتـك[4]

ويـجـعــلُ عـيـنـيْـه ربـيئـةَ قــلبـهِ
إلى سلّةٍ مِن حـدِّ أخلقَ صـائــك[5]

---

(١) العطف: الجانب. وندوة الحي: مجتمعه. والهجان: الإبل الكريمة. والأوارك، التي ترعى الأراك، الشجر المعروف الذي يتخذ منه السّواك.

(٢) الموماة: الأرض الخالية من الماء والشجر. والجحيش: المتوحش المنفرد. ويعروري: يرتكب المهالك. وهنا يصور الشاعر تفرده وكثرة تجواله في الآفاق، بحماسة وجراءة.

(٣) وفد الريح: أولها. وينتحي: يقصد. والمنخرق: الواسع والمتسارع.

(٤) حاص: خاط. والكرى: النوم الخفيف. والشيحان: الحازم والفاتك: الذي يفتك بالآخرين فجأة.

(٥) الربيئة: الرقيب. والسلة، الواحدة من سلّ السيف، أي تجريده: والأخلق: الأملس. والصائك: القاطع.

إذا هــزّه فــي عــظمِ قِــرْنٍ تــهلّلتْ
نــواجـذُ أفـواهِ المنـايـا الضّـواحـك[1]

يـرى الوحشـةَ الأنسَ الأنيسَ ويهتدي
بحيثُ اهتدتْ أمُّ النجومِ الشوابك[2]

* * *

(ولقد أبيت على الطوى)

ومن جيـد الفخر وأشهـره فخـر عنتـرة العبسي، الشـاعـر الجـاهلي المعروف، وأحـد أصحاب المعلقـات، بشجاعتـه وخلقه، ونجدته وسرعة إقدامه. فلقد انهزمت بنو عبس أمام بني تميم، وسيدهم يومئذ قيس بن زهير، فانبرى عنترة يحامي عن الناس فلم يصب منهم مدبر. فقال قيس: والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء ـ أي عنترة ـ ولقد أشار عنترة إلى هذه الواقعة فقال مفتخراً[3]:

إني امــرؤٌ مِن خيــرِ عبسٍ مـنصبــاً
شـطري وأحمي سائـري بالمُنْصُـل[4]

(١) القرن: البطل الشجاع. والنواجذ: الأسنان.

(٢) أم النجوم، كناية عن الشمس، أو المجرّة. ومعنى ذلك أنه يأنس بالوحدة ويهتدي إلى مقصده كما النجوم.

(٣) ديوان عنترة ص ٥٧ ـ ٥٨ دار بيروت ـ دار صادر بيروت ١٩٦٦ م.

(٤) المنصل: السيف.

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظلّه
حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ[1]

وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظتْ
ألفيتُ خيراً مِن مُعِمٍّ مُخْولِ[2]

والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني
فرّقْتُ جمعهمُ بِطعنةِ فيصلِ[3]

بكرتْ تخوّفُني الحتوفَ كأنني
أصبحتُ عن غرضِ الحتوفِ بمعزلِ[4]

فأجبتها: إنَّ المنيّةَ منهلٌ
لا بدَّ أنْ أُسقى بكأسِ المنهلِ

فاقْني حياءَكِ لا أباً لكِ واعلمي
أني امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتلِ[5]

إن المنيةَ لو تمثّلُ مُثّلت
مثلي إذا نزلوا بضنكِ المنزلِ[6]

---

(١) الطوى: الجوع.

(٢) المعم: المنسوب إلى العم. والمخول: من يتباهى بخاله. والكتيبة: القطعة من العسكر.

(٣) الفيصل: السيف.

(٤) الحتوف: المنايا، جمع حتف.

(٥) اقني: وفري.

(٦) ضنك المنزل، شدته، كناية عن العسر والهول.

والخيـــلُ ســاهمـــةُ الــوجــوهِ كـأنمــا
تُسقى فـــوارسُهــا نقيــعَ الحنــظل[1]
وإذا حُملتُ على الكــريهـةِ لم أقــلْ
بعــدَ الكــريهــةِ ليتني لم أفعــل [2]

* * *

(ليس الكريم على القنا بمحرّم)

ومن جيد فخر عنترة وأروعه، ذلك الفخر البـطولي الذي تضمنتـه معلقته المشهـورة، وهو زاخـر بالفـروسية والبـطولة والشجاعة وأسمى الأخلاق والمناقب والفضائل. يقول عنترة مخاطباً عبلة، حبيبته[3]:

أثـنــي عـليّ بمــا عـلمـت فـإنـنـي
سمـــح مخــالــطتي إذا لم أظـلـم[4]
فــإذا ظـلمت فــإن ظـلمي بــاســل
مـــرّ مـــذاقـــتـــه كـــطعـم الـعـلقــم
فـــإذا شـــربــت فـــإنّـني مـــستـهـلك
مـــالـي وعـــرضـي وافـــر لـــم يـكـلـم

(١) الحنظل، نبات شديد المرورة.
(٢) الكريهة: صفة للحرب.
(٣) المعلقات العشر ص١٤٦ ـ ١٥٧.
(٤) المخالطة: المعاشرة.

وإذا صحــوت فمــا أقصّــر عن نــدى

وكمــا علمـت شمــائلي وتكــرّمـي

وحـليــل غــانيــة تــركـت مـجــدّلاً

تمكـــو فــريستــه كشــدق الأعلم[1]

سبقت يــداي لــه بعــاجــل طـعنـه

ورشــاش نــافــذة كلــون العنــدم[2]

هـلاّ سـألت الخيـل يـا ابنـة مـالـك

إن كـنت جـاهـلة بمـا لـم تعـلمـي

يخبــرك من شهـد الـوقـيعـة أنـني

أغشى الـوغى وأعفّ عنـد المغنـم

ومـدجّـج كـره الـكمـــاة نـزالــه

لا مـمعـن هــربــاً ولا مـستسـلم

جــادت لـه كفيّ بعــاجــل طعنــة

بمثّقف صـدق الـكعـوب مقـوّم[3]

فشكـكـت بــالـرمـح الأصمّ ثيــابـه

ليس الكــريـم على الـقنـا بـمحـرّم

---

(1) الحليل: الزوج. والغانية: المرأة الشابة الجميلة. وتمكو: تصفر. والأعلم: صفة للجمل المشقوق الشفة العليا.

(2) العندم: نبت أحمر اللون.

(3) المثقف، صفة للرمح. والمقوم: المستقيم.

لما رأيت القوم أقبل جمعهم

يتذامرون كررت غير مذمّم[١]

يدعون عنتر والرماح كأنها

أشطان بئر في لبان الأدهم[٢]

ما زلت أرميهم بثغرة نحره

ولبانه حتى تسربل بالدّم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها

قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

* * *

(فأتت به حوش الفؤاد مبطناً)

أبو كبير الهذلي، واسمه عامر بن حليس، شاعر من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم، وله في الفخر قطع رائعة منها هذه الأبيات التي يفتخر فيها بشجاعته ومروءته ونجدته.

ويقال إن سبب هذه الأبيات أنه كان تزوج أم تأبط شرا، الشاعر الصعلوك المشهور، وكان هذا لا يزال صغيراً، فتنكر

---

(١) يتذامرون: يدعو بعضهم بعضاً للقتال.

(٢) الأشطان: الحبال. والأدهم، صفة للفرس الأسود. واللبان: الصدر.

لأبي كبير لما رآه يكثر الدخول على أمه، فارتاب أبو كبير للأمر، ولم يأمن الولد على نفسه فاحتال عليه، بأمر من أمه حتى يقتله فوجهه للغزو، فقصد ناراً وعليها رجلان من لصوص العرب، فقتلهما تأبط شرا، وأخذ خبزهما، فخاف أبو كبير منه، فخلف أن لا يقرب أم هذا الغلام الصعلوك، فقال هذه الأبيات، وهي التالية[1]:

ولقد سريت على الظلامِ بِمِغْشمٍ
جلدٍ مِنَ الْفتيانِ غيرِ مثقّلِ[2]
مِمَّنْ حملْنَ به وهنَّ عواقد
حُبُكَ النطاق فشبَّ غيرَ مهبّلِ[3]
ومبرّيءٍ من كلِّ غبرّ حيضةٍ
وفسادِ مرضعةٍ وداءٍ مُغْيلِ[4]
حملتْ به في ليلةٍ مرؤودةٍ
كَرْهاً وعقدُ نطاقِها لم يحلل[5]

(١) ديوان الحماسة ١٩/١ - ٢١.

(٢) المغشم: الذي يمضي في الأمر على غير نظر. والجلد: الصبور.

(٣) حبك النطاق: طرائق النساء وملابسهن، والمهبّل، من الهبل، وهو فقد الأم لولدها.

(٤) معنى ذلك أن أمه حملت به وهي طاهرة من الفساد والحيض.

(٥) معنى ذلك أن الولد جاء نجيباً. والمرؤودة، من الرأد، وهو الفزع.

فــأتــتْ بــه حــوشَ الفـؤادِ مبـطّنــاً
سَهُـداً إذا مـا نـام ليـلُ الهـوجـل[1]
مــا إنْ يــحسُّ الأرضَ إلا مــنــكــبٌ
منــه وحـرفُ الســاقِ طيَّ المحمــل
وإذا رميتَ بــه الـفـجـاجَ رأيـتــه
يهـوي مخـارمهــا هُـويَّ الأجــدل[2]
وإذا نــظرتَ إلــى أســرَّةِ وجــهــهِ
بــرقتْ كبــرقِ العــارضِ المتهلّل[3]
صعبُ الكــريهــةِ لا يُــرامُ جنــابُــه
مـاضي العزيمـةِ كالحسـامِ المقصـل
يحمِي الصعــابَ إذا تكـونُ عــظيمـةً
وإذا همُ نــزلــوا فمــأوى الـعُيَّــل[4]

* * *

---

(١) حوش الفؤاد: ذكي الفؤاد. مبطناً: خميص البطن. والسهد: النائم. والهوجل: الثقيل.

(٢) الأجدل: الصقر. والمخارم: منقطعات الجبال. ومعنى ذلك أنه صاحب همة في الأمور الصعبة.

(٣) أسرة وجهه: خطوطه.

(٤) العيل: جمع عائل، وهو الفقير. وهنا يصفه بالشجاعة.

(ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى)

ومن أروع الفخر وجيده فخر جابر بن الثعلب الطائي. وشعره يقرب من شعر الصعاليك، وهو لا يخلو من رنّة ألم، وخلقٍ، وحكمة، ومن نزوع إلى المثال. يقول جابر[1]:

وقـامَ إلـيَّ الـعـاذلاتُ يَـلُمْـنَـنـي
يقلْنَ ألا تنفـكُّ تـرحـلُ مَرْحـلا[2]

فـإنَّ الفتى ذا الحـزمِ رامٍ بنفسِـه
جـواشنَ هـذا الليـلِ كي يتمـوّلا[3]

ومنْ يفتقـرْ في قـومِـه يحمـدِ الْغنى
وإنْ كـان فيهم واسطَ العمِّ مُخْولا[4]

ويُـزري بعقـلِ الـمـرءِ قلّةُ مـالـهِ
وإنْ كان أسرى مِن رجـالٍ وأحولا[5]

كـأنَّ الفتـى لم يعرَ يـومـاً إذا اكـتسى
ولـم يـكُ صُعـلوكـاً إذا مـا تمـوّلا

(١) ديوان الحماسة ١/١٠٩ - ١١٠.

(٢) أي إنهن ينكرن عليه كثرة ارتحاله وتجواله في البلاد.

(٣) جواشن، جمع جوشن، وهو الصدر والأول من الشيء.

(٤) واسط العم: كريمه. ومثله المخول، فهو كريم الخال.

(٥) أسرى: أشرف. والأحول: الأكثر حيلة.

ولـم يـكُ في بـؤسٍ إذا بـاتَ ليـلةً
يناغي غزالاً فاترَ الطّرفِ أكحلا
إذا جـانبٌ أعيـاكَ فـاعْمدْ لجـانبٍ
فـإنّك لاقٍ فـي بـلادٍ مـعـوّلا[1]

* * *

عمرو بن معديكرب (ت حوالي ٢٠ هـ/ ٦٤٣ م)

(ظللت كأني للرماح دريئة)

ومن أروع الفخر ما قاله عمرو بن معديكرب الزبيدي، الشاعر الجاهلي والإسلامي، من المخضرمين، والمقدمين في الشدة والسؤدد والفروسية. ولقد دافع عن المسلمين، وشهد الكثير من الوقائع والحروب، يقول عمرو مفتخراً[2]:

ولـمّـا رأيتُ الـخيـلَ زُوراً كـأنّـهـا
جـداولُ زرعٍ أُرسلتْ فـاسْبـطرّتِ[3]
فـجـاشـتْ إليَّ النـفسُ أولَ مـرّةٍ
فـرُدّتْ على مكـروهِهـا فـاستقـرّتِ[4]

---

(١) المعول: ما يعوّل عليه ويوكل الأمر إليه.
(٢) ديوان الحماسة ١/٤٤ ـ ٤٥.
(٣) اسبطرت: امتدت. والزور، جمع زوراء، وهي المائلة.
(٤) جاشت: اضطربت من الفزع.

عـلامَ تقـولُ الـرمحُ يُثقـلُ عـاتقي

إذا أنـا لم أطعنْ إذا الخيـلُ كـرَّت

لحـا اللّهُ جـرمـاً كلّمـا ذرَّ شـارقٌ

وجـوهَ كلابٍ هـارشتْ فـازْبـأرّت [1]

فلم تُغنِ جـرمٌ نهـدَهـا إذْ تـلاقتـا

ولكنَّ جرمـاً في اللقـاءِ ابْـذعـرّت [2]

ظـلِلْتُ كـأنّـي لـلرمـاحِ دريئـةٌ

أقـاتـلُ عن أبنـاءِ جـرمٍ وفـرّت [3]

فلو أنَّ قـومي أنـطقـتْني رمـاحُهـم

نـطقْتُ ولكـنَّ الـرمـاحَ أجـرّتِ [4]

* * *

(وبقيت مثل السيف بردا)

ومن جيد فخر عمرو، أيضاً، ما قاله في اليوم الذي جرى بين قومه وأحلافهم من جرم، من جهة، وبين بني الحرث بن

---

(١) لحا: قبح ولعن. وذرّ: طلع. والشارق: الشمس. وجرم: اسم قبيلة. وازبأرت: تهيأت للقتال.

(٢) نهدها، أي قبيلة نهد. وابذعرت: تفرقت.

(٣) دريئة: عرضة.

(٤) أجرت: شقت لسان الفصيل لئلا يرضع ثدي أمه الناقة. ومعنى البيت أنهم لو أبلوا في الحرب بلاء حسناً لمدحهم وذكر بلاءهم.

كعب وحليفتها نهد، من جهة ثانية، يقول عمرو مفتخراً بمناقبه وشجاعته، وبنفسه العاشقة البطلة[1]:

ليس الجمـالُ بمئـزرٍ فـاعْلمْ وإنْ رُدّيتَ بُـردا
إنّ الجمـالَ معـادنٌ ومنـاقـبُ أورثْن مـجـدا
أعـددتُ للحـدثـانِ سـابغـةً وعـدّاءً عَلَنْـدِى[2]
نهـداً وذا شـطبٍ يقـدُّ البيضَ والأبـدانَ قـدّا[3]
وعلمتُ أني يـومَ ذاك مُنـازلٌ كعبـاً ونهـدا[4]
قـومٌ إذا لبسوا الحـديـدَ تنمّـروا حلقـاً وقـدّا[5]
لمـا رأيتُ نسـاءَنـا يفحصْن بـالمعـزاءِ شـدّا[6]
وبـدتْ لميسُ كـأنهـا بـدرُ السمـاءِ إذا تبـدّى
نـازلْتُ كبشَهمُ ولـم أر مِن نزالِ الكبشِ بـدّا[7]
هم ينـذرون دمي وأنـذرُ إنْ لقيتُ بـأنْ أشـدّا

---

(١) ديوان الحماسة ١/٥٠ - ٥٢.

(٢) الحدثان: حوادث الدهر. والسابغة: الدرع الواسعة. والعداء: الفرس السريع. والعلندى: الشديد.

(٣) نهد: ضخم. والشطب: طرائق السيف. والقد: القطع طولاً. والبيض، ما يوضع على الرأس من الحديد.

(٤) كعب ونهد، قبيلتان.

(٥) تنمروا: صاروا كالنمور. والحلق: الدروع. والقد: الدرع. وهنا يعظم من شأن الخصم تعظيماً لشأنه.

(٦) المعزاة: الأرض الصلبة.

(٧) الكبش: السيد والرئيس.

كم مِن أخٍ لي صالحٍ بوّأته بيديَّ لحدا[1]
ما إنْ جزعتُ ولا هلِعْتُ ولا يردُّ بكاي زندا[2]
ألبستُه أثوابَه وخُلقتُ يومَ خلقت جَلْدا[3]
أغني غَناءَ الذاهبين أعدُّ للأعداءِ عدّا[4]
ذهبَ الذين أحبُّهم وبقيتُ مثلَ السيفِ فردا

ومن جيد فخر عمرو بن معديكرب، أيضاً، قوله:

ولقد أجمعُ رجليَّ بها
حذرَ الموتِ وإني لفرور
ولقد أعطفُها كارهةً
حينَ للنفسِ منَ الموتِ هرير
كلُّ ما ذلك مني خُلُقٌ
وبكلٍّ أنا في الرَّوْعِ جدير[5]

* * *

(١) بوأته: أنزلته. واللحد: جانب القبر.

(٢) هلعت: جزعت كثيراً.

(٣) جلداً: قوياً شديداً.

(٤) الغناء: النفع.

(٥) ديوان الحماسة ٥٢/١. والروع: اللقاء في الحرب. والهرير: الصوت القوي. وأعطفها: أميلها. والفرور: الذي يفرّ ثم يكرّ على الأعداء.

(فدعوا نزالِ فكنت أول نازل)

عمّر ربيعة بن مقروم، وهو الشاعر الجاهلي، حتى أدرك الإسلام فشهد جلولاء أيام عمر بن الخطاب، ويعد ربيعة من الشعراء والفرسان المشار إليهم في مضر، وكانت عبد القيس قد أسرته، ثم أطلقت سراحه ومنّت عليه بعد ذلك، فقال من جيد الفخر وأروعه[1]:

ولقد شهِدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها
بِسليمِ أوظفةِ القوائمِ هيكلِ[2]
فدعَوْا نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ
وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ[3]
وألدَّ ذي حنقٍ عليَّ كأنّما
تَغلي عداوةُ صدرِه في مِرجلِ[4]

---

(١) ديوان الحماسة ١/١٤.

(٢) هيكل: كبير ضخم، وهو صفة للفرس. والأوظفة: جميع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها. وهنا يصور لنا كيف أن فرسه سليم معافى من العيوب.

(٣) نزال: اسم فعل، ومعناه: إنزلْ.

(٤) المرجل: القدر الكبيرة. والألد: الشديد الخصومة. والحنق: الغيظ.

أرجيْتُـه عنّي فـأبـصـرَ قـصـدَه
وكـويتُـه فـوقَ النـواظـرِ مِن عـلِ[1]

* * *

(بمثلي فاشهد النجوى)

ولربيعة من الفخر الجيد، أيضاً، قوله[2]:

وكـنـتُ إذا قـريـنـي جـاذبـتْـهُ
حبـالي مـاتَ أو تبـعَ الجِـذابـا[3]
فـإنْ أهـلكْ فـذي حـنـقٍ لـظاهُ
علـيَّ تـكـادُ تـلتـهـبُ التـهـابـا[4]
مـخـضْـتُ بـدلـوهِ حتى تـحسّى
ذَنـوبَ الـشّـرِّ مـلأى أو قُـرابـا[5]
بِمثلي فـاشْهـد النّجـوى وعـالـنْ
بـيَ الأعـداءَ والـقـومَ الـغـضـابـا

(١) أرجيته: أخرته وصرفته.

(٢) ديوان الحماسة ١/٢١٠ - ٢١١.

(٣) أي إن حباله محكمة القوى يجاذب بها خصمه فيموت قبل الوصول إليه.

(٤) الحنق: الغضب. وذي حنق، أي: رُبّ ذي حنق.

(٥) مخضت: حركت. والتحسي: الشرب شيئاً فشيئاً. والذنوب: الدلو. والمعنى أن خصمه أراد به الشر فسقاه منه.

فــإنّ الــمُــوعِــديَّ يــروْنَ دونــي
أســودَ خــفــيّــةَ الــغُــلْبَ الــرّقــابــا
كــأنَّ عــلى ســواعــدِهــنَّ ورْســاً
عــلا لــونَ الأشــاجــعِ أو خــضــابــا[1]

* * *

حطّان بن المعلّى

(فليس لي مال سوى عرضي)

ومن جيد الفخر، وأصدقه، وآلمه معاً، فخر حطان بن المعلى الشاعر الإسلامي بالحفاظ على خلقه وعرضه، رغم الفقر والإملاق. يقول حطان[2]:

أنــزلــنــي الــدهــرُ عــلى حــكــمــهِ
مَن شــامــخٍ عــالٍ إلى خَــفْضِ[3]
وغــالــنــي الــدهــرُ بــوفــرِ الــغــنــى
فــليس لي مــالٌ ســوى عــرضــي[4]

---

(١) خفية، اسم مكان تكثر فيه الأسود. والغلب: الغلاظ الرقاب. والأشاجع: عروق ظاهر الكف.

(٢) ديوان الحماسة ١/١٠٠ ـ ١٠٢.

(٣) الخفض، خلاف العالي، كناية عن الضعف.

(٤) غالني: أصابني وأهلكني.

أبكانيَ الدهرُ ويا ربّما

أضحكني الدهرُ بما يُرضي

لولا بنيّاتٌ كزُغبِ القطا

رُددْنَ مِن بعضٍ إلى بعض[1]

لكان لي مضطربٌ واسع

في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرض[2]

وإنما أولادُنا بيننا

أكبادُنا تمشي على الأرض

لو هبّتِ الريحُ على بعضِهمْ

لامْتنعتْ عيني مِنَ الْغمض

* * *

حاتم الطائي (ت ٤٦ هـ/ ٦٦٨ م)

(جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها)

عرف حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، وأحد فرسان العرب وأجوادهم المعدودين الذين ذكروا بالكرم ومدحوا بالسخاء والجود، وبه

(١) بينات: تصغير بنات. والزغب: لين الشعر وأصغره، كناية عن صغر سنّهن.

(٢) المضطرب: الاضطراب والتنقل.

يضرب المثل. حاتم هذا قال من جيد الفخر بالكرم والندى والسخاء[1]:

إذا ما بخيلُ الناسِ هرّتْ كلابُه
وشقَّ على الضّيفِ الغريبِ عقورُها[2]
فإنّي جبانُ الكلبِ بيتي موطّأٌ
جوادٌ إذا ما النفسُ شحَّ ضميرها[3]
ولكنْ كلابي قد أقرّتْ وعُوِّدَتْ
قليلٌ على مَن يعتريها هريرها

* * *

عوف بن الأبرص

(إذا خمد النيران لاح بشيرها)

وقريب من المعنى السابق، وفي جودته وروعته ما قاله عوف بن الأبرص مفتخراً بكرمه وبناره التي لا تطفأ يشبّها للضيفان[4]:

ومستنبحٍ يخشى العداةَ ودونه
مِن الليلِ بابا ظلمة وستورُها[5]

(١) الحيوان ١/٢١١.

(٢) هرّت: نبحت. وشق: عسر وصعب. وعقورها: المؤذي منها.

(٣) موطأ: مرتاد. وشح: قلّ.

(٤) الحيوان ٥/٢١٥.

(٥) المستنبح: من يحرض الكلاب على النباح ليعرف منازل القوم.

رفعتُ لــه نــاراً فلمــا اهتــدى بهــا
زجـرتُ كـلابي أنْ يهـرَّ عقـورُهــا[1]
فــلا تســأليني واســألي عن خليقتي
إذا ردَّ مـا في القدرِ مَن يستعيـرهـا[2]
تــريْ أنّ قِـدري لا تــزالُ كــأنـهــا
لِـذي الغرثِ المقـرورِ أمّ يـزورهـا[3]
مـبــرّزة لا يُجـعــل الستــرُ دونَـهــا
إذا خَـمــد النيــرانُ لاحَ بشيــرهــا
إذا الشّـولُ راحت ثم لم يفـدْ لحمهـا
بــألبـانِهــا ذاقَ السّنـانَ عقيــرهــا[4]

* * *

ابن زرارة الكلبي

(بضرب الطلا والهام حق عليم)

ومن الفخر الرائع ما قـاله عبـد العزيـز بن زرارة الكلبي، الشاعر الإسلامي، وهو يفخر بنفسه وكرمه وشجاعته، وفخره لا

---

(١) زجرت: دفعت. والعقور: أشدها بأساً.

(٢) الخليقة: الطبع.

(٣) الغرث: الجائع. والمقرور: البردان.

(٤) الشول: النوّق.

يخلو من نصفة وواقعية. يقول ابن زرارة[1]:

وإلّا أكنْ مما علمتِ فإنني
إلى نسبٍ مما جهلتِ كريمِ
وإلا أكنْ كلَّ الجوادِ فإنني
على الزادِ في الظلماء غيرُ شتيم[2]
وإلّا أكنْ كلَّ الشجاعِ فإنني
بضربِ الطُّلا والهامِ حقُّ عليم[3]

* * *

أبو النشناش

(ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)

ومن أروع الفخر، وأغناه بالحكمة، وأزخره بالعاطفة الصادقة فخر أبي النشناش، وهو شاعر إسلامي، ولصّ صعلوك من صعاليك بني تميم، في زمن الأمويين، يقول أبو النشناش مفتخراً[4]:

---

(١) ديوان الحماسة ١/٩٩.

(٢) شتيم، أي مشتوم. ويبين هنا أنه يهش للضيف فهو لا يسبّ ولا يشتم. والظلماء، كناية عن الجدب والفقر والحاجة.

(٣) الهام: الرؤوس، جمع هامة. والطلا: الأعناق.

(٤) ديوان الحماسة ١/١١٥ - ١١٧.

إذا المرءُ لم يسرحْ سَواماً ولم يُرِحْ
سواماً ولم تعطفْ عليه أقاربُهْ[1]
فَلَلموتُ خيرٌ للفتى مِن قعودِهِ
عديماً ومِن مولى تدبُّ عقاربه[2]
ونائيةِ الأرجاءِ طامسةِ الصُّوى
خَدَتْ بأبي النشناشِ فيها ركائبه[3]
ليكسبَ مجداً أو ليدركَ مغنماً
جزيلاً وهذا الدهرُ جمٌّ عجائبه
وسائلةٍ بالغيبِ عنّي وسائلٍ
ومَنْ يسألُ الصعلوكَ أينَ مذاهبه
فلم أرَ مثلَ الفقرِ ضاجعه الفتى
ولا كَسوادِ الليلِ أخفقَ طالبه
فعِشْ معدماً أو متْ كريماً فإنني
أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربه
ولو كان حيٌّ ناجياً مِن منيّةٍ
لكان أثيراً حينَ جَدَّتْ ركائبه[4]

(١) يسرح: يذهب صباحاً. والسؤام: الماشية. ويرح: يعد مساء.
(٢) تدب عقاربه، كناية عن السعي في الأذى. والعديم: الفقير.
(٣) الصوى: الأعلام. وخدت: أسرعت. والركائب: الرواحل، وما يركب. والنائية، صفة للمفازة القفر.
(٤) جدت ركائبه: أسرعت. والمعنى واضح في أن الصعلوك الذي يطلب=

(ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا)

ومن أروع الفخر وأشده حماسة، ما قاله سعد بن ناشب التميمي، الشاعر الإسلامي، وكان أصاب دماً فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة ثم أحرقها، فقال هذه الأبيات الحماسية الرائعة[1]:

سأغسلُ عنّي العارَ بالسيفِ جالباً
علَيَّ قضاءَ اللَّهِ ما كانَ جالبا[2]
وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمَهَا
لعِرضيَ مِن باقي المذَمَّةِ حاجبا[3]
ويصغرُ في عيني تِلادي إذا انْثنتْ
يميني بإدراكِ الذي كنتُ طالبا[4]
فإن تهدموا بالغدرِ داري فإنّها
تراثُ كريمٍ لا يُبالي العواقبا

= المجد، ويسعى إليه في الليل هو أجدر بذلك.

(١) ديوان الحماسة ١/١٥ - ١٦. وانظر: زهر الآداب ١/٢١٣.

(٢) العار: العيب والسوء.

(٣) أذهل عن داري: أتركها. والمذلة: الذم والعيب.

(٤) التلاد: المال القديم المتوارث.

أخي غمـراتٍ لا يـريـدُ على الـذي
يهمُّ بـه مِن مفـظعِ الأمـرِ صـاحبـا[1]
إذا هـمَّ لم تُـردعْ عـزيـمـةُ هـمّـهِ
ولم يـأتِ ما يـأتي مِن الأمرِ هـائبـا[2]
فـيـا لَـرِزامٍ رشّحـوا بـي مقـدّمـا
إلى المـوتِ خوّاضـاً إليه الكتـائبـا[3]
إذا هـمَّ ألقـى بيـنَ عيـنيْـهِ عـزمـه
ونكَّبَ عن ذكـرِ العـواقبِ جـانبـا[4]
ولم يستشـرْ في رأيـهِ غيـرَ نـفسـهِ
ولم يـرض إلاّ قـائمَ السيفِ صـاحبـا

* * *

الطرمّاح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(بفيض إلى كل امرىء غير طائل)

يعتبـر الطرمـاح من ألمع شعـراء الخوارج وأفصحهم في العصر الإسلامي، وهو الطرماح بن حكيم، والذي ينتهي نسبه

(١) الغمرات: الشدائد.
(٢) تردع: تزدجر. وهائباً: خائفاً.
(٣) رزام: حي من تميم، نسبوا إلى جدهم رزام بن مالك بن حنظلة. واللام في (رزام) للاستغاثة.
(٤) نكب: انحرف.

إلى طيء، القبيلة العربية المعروفة، ومن جيد فخر الطرماح قوله[1]:

لقـد زادني حبّـاً لِنفسيَ أنّني
بغيضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غير طائلِ
وأنـي شقـيٌّ بـاللّئـامِ ولا تـرى
شقيّـاً بهم إلاّ كـريمَ الشمـائـل[2]
إذا مـا رآني قـطّعَ الـطّرفَ بينَـه
وبينيَ فعـلَ العـارفِ المتجـاهـل
مـلأتُ عليـه الأرضَ حتى كـأنّهـا
مِن الضّيقِ في عينيْه كِفّـةُ حـابـل[3]
أكـلُّ امْـرىءٍ ألـفى أبـاه مقـصّـراً
معـادٍ لأهـلِ المكـرمـاتِ الأوائـل
إذا ذُكـرتْ مسعـاةُ والـدِه اضْـطنى
ولا يضطني مِن شتمِ أهلِ الفضائل[4]

---

(١) ديوان الحماسة ١/٧٦ ـ ٧٧.

(٢) الشمائل: الطبائع والصفات الحميدة.

(٣) كفة الحابل: الحفرة التي تنصب فيها الحبالة، فهي كالطوق. والحابل: صاحب الحبالة.

(٤) المسعاة: السعي. واضطنى، تعب وضعف.

وما مُنعتْ دارٌ ولا عزٌّ أهلُها
مِن الناسِ إلّا بالقنا والقنابل[1]

* * *

ابن حبناء

(ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم)

ومن أروع الفخر، وأجزله عبارة، وأصدقه عاطفة ما قاله ابن حبناء، وهو من غلاة الخوارج، وأحد أتباع نافع بن الأزرق؛ يقول مخاطباً أم عاصم، ومفتخراً بشجاعته وثباته واندفاعه المفرط في سبيل ما يؤمن به ويعتقده[2]:

دعي اللومَ إنّ العيشَ ليسَ بدائمِ
ولا تعجلي باللّومِ يا أمَّ عاصمِ
فإنْ عجلتْ منكِ الملامةُ فاسمعي
مقالةَ معنيّ بِحقّكِ عالم
ولا تعذلينا في الهديّةِ إنّما
تكونُ الهدايا مِن فُضولِ المغانم
فليسَ بِمُهدٍ مَن يكونُ نهارُه
جِلاداً ويُمسي ليلُه غيرَ نائم[3]

(١) القنابل: جماعات الخيل، والواحدة قنبلة.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٩٩.
(٣) أي أن يقول إنه يمسي هو في ليله، ويكون هو في نهاره، لكنه جعل الفعل=

يـريـدُ ثـوابَ اللّهِ يـومـاً بـطعنـةٍ
غموسٍ كشدق العنبـريِّ بنِ سالـم[1]
أبـيتُ وسـربـالـي دِلاصٌ حصـينـةٌ
ومِغفُـرهـا والسيفُ فـوقَ الحيـازم[2]
حـلفتُ بـربِّ الـواقـفيـنَ عشيّـةً
لـدى عـرفـاتٍ حـلفـةً غـيـرَ آثـم
لقـد كـان في القـومِ الـذين لقيتُهم
بسـابـورَ شغـلٌ عن بـروزِ اللطائم[3]
تـوقَّـدُ فـي أيـديـهـمِ زاعـبـيّـةٌ
ومـرهفـةٌ تفـري شؤونَ الجمـاجم[4]

* * *

= للّيل والنهار، على السّعة والمجاز.

(١) الغموس: الواسعة. والشدق: الفم. والعنبري بن سالم، رجل من القوم كان يقال له الأشدق.

(٢) الدلاص: الدرع. والمغفر، أيضاً، الدرع. والحيازم: جمع حيزوم، وهو الصدر.

(٣) سابور، اسم مدينة بفارس، قريبة من اصطخر. وسابور، أيضاً، اسم موضع بالبحرين. واللطائم، جمع لطيمة، وهي الإبل التي تحمل البزّ والعطر.

(٤) زاعبية، نسبة إلى زاعب، اسم رجل من الخزرج كان يعمل الرماح. وتفري: تقدّ.

(الخيل والليل والبيداء تعرفني)

أبو الطيب المتنبي، شاعر الحكمة والمدح والفخر بلا منازع في العصر العباسي، بل في كل عصر. ولقد تعرض المتنبي في بلاط سيف الدولة الحمداني للحسد والدسائس، مما أغاظه وكدر عليه صفو عيشه، وهو الشاعر الكبير المتعالي، فقال هذه الأبيات التي تعتبر من أروع شعر الفخر قاطبة، ومن أشهره على الإطلاق[1]:

سيعلمُ الجمعُ ممّنْ ضمَّ مجلسُنا
بأنّني خيرُ مَن تسعى به قدمُ

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعتْ كلماتي مَن بهِ صمم

أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها
ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصم[2]

وجاهلٍ مدَّه في جهلِهِ ضحكي
حتى أتتْه يدٌ فرّاسةٌ وفم

---

(١) ديوان أبي الطيب ص ٣٣٠، طبعة دمشق ١٩٦٠ م.

(٢) شواردها، أي شوارد القوافي.

ومهجةٍ مهجتي مِن همِّ صاحبِها
أدركتُها بجوادٍ ظهرُه حرم

رجلاه في الركضِ رجلٌ واليدان يدٌ
وفعلُه ما تريدُ الكفُّ والقدم

ومرهفٍ سرْتُ بينَ الجحفليْنِ به
حتى ضربت وموجُ الموتِ يلتطم

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني
والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلم

صحبتُ في الفلواتِ الوحشَ منفرداً
حتى تعجّبَ مني الغُورُ والأكم[1]

كم تطلبونَ لنا عيباً فيعجزكم
ويكرهُ اللّهُ ما تأتون والكرم

ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ عن شرفي
أنا الثّريّا وذانِ الشيبُ والهرم[2]

* * *

(فلا تقنع بما دون النجوم)

ومن جيد فخر أبي الطيّب قوله[3]:

---

(١) الغور: الأراضي الواطئة المنخفضة. والأكم، ما ارتفع منها.

(٢) الثريا: نجم معروف وهو مجموعة من الكواكب الصغار.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

إذا غـامـرتَ فـي شـرفٍ مـرومٍ
فـلا تـقـنـعْ بـمـا دونَ الـنـجـومِ
فـطعـمُ المـوتِ في أمـرٍ حـقـيـرٍ
كـطعـمِ المـوتِ في أمـرٍ عـظيم

* * *

(فما المجد إلا السيف والفتكة البكر)

ومنه أيضاً[1]:

ولا تـحسبَنَّ الـمجـدَ زقًّـا وقـيـنـةً
فمـا المجدُ إلا السيفُ والفتكـةُ البكرُ
وتقـطيـعُ أعنـاقِ الملوكِ وأنْ تُـرى
لـك الهبواتُ السـودُ والعسكرُ المجـر

ومنه أيضاً[2]:

وإنـي لمـنْ قـومٍ كـأنَّ نـفـوسَـهـم
بهـا أَنفٌ أنْ تسكنَ اللمَ والعـظمـا

ومنه أيضاً[3]:

وآنـفُ مِـن أخـي لأبـي وأمـي
إذا مـا لـم أجـدْه مـن الـكـرامِ

---

(١) نفسه ص ١١٤، والزق: وعاء الخمر، والمجر: الكثير العدد.

(٢) نفسه ص ٢١٠.

(٣) نفسه ص ٢١٧.

(كشعرة في مفرقي)

ومنه، ما قاله في الصغر[1]:

أيَّ محلٍّ أرتقي
أيَّ عظيمٍ أتقي
وكلُّ ما قد خلقَ اللّٰهُ
وما لم يُخلقِ
محتقرٌ في همّتي
كشعرةٍ في مفرقي

ومنه كذلك[2]:

إن أكنْ معجباً فعجبُ عجيبٍ
لم يجدْ فوقَ نفسهِ مِن مزيدِ

* * *

(تركنا لأطراف القنا كل شهوة)

ومنه[3]:

وغيرُ فؤادي للغواني رميّةٌ
وغيرُ بناني للزجاجِ ركابُ

(1) نفسه ص ١٩٠.
(2) نفسه ص ٨٩.
(3) نفسه ص ٣٧. والغواني: الحسان.

تَـرَكْنـا لأطـرافِ القنـا كـلَّ شهـوةٍ

فـليس لـنـا إلا بـهـنَّ لـعـاب

* * *

(غريب كصالح في ثمود)

ومنه (١):

مـفـرشي صـهـوةُ الـحـصـانِ ولكـنَّ

قـمـيـصـي مـسـرودةٌ مِـن حـديـدِ

مـا مـقـامـي بـأرضِ نـخـلـةَ إلا

كـمقـامِ الـمسيـحِ بـينَ الـيـهـود

أنـا فـي أمّـةٍ تـداركـهـا الـلّهُ

غـريـبٌ كـصـالـحٍ فـي ثـمـود

* * *

أبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م)

(صبور ولو لم تبق مني بقية)

الشاعر هو أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني، الأمير والقائد، وأحد أبرز شعراء العصر العباسي، عرف بوجدانياته و «رومياته» وهي القصائد التي كان يبعث بها إلى ابن عمه

---

(١) نفسه ص ٧٠. ونخلة، قرية في بلاد الشام.

سيف الدولة، من مكان أسره في بلاد الروم، وهي تفيض رقة وعاطفة، ولا تخلو من مواقف فخرية كان يعدد فيها الشاعر مناقبه ومآتيه وفضائله. ومن هذا الشعر الفخري الرائع الممزوج بالألم والعتاب، قوله:[١]

إذا الخِلُّ لم يهجرْكَ إلّا ملالةً
فليسَ له إلّا الفراقُ عتابُ
إذا لم أجدْ في بلدةٍ ما أريدُه
فعندي لأخرى عَزْمةٌ وركاب[٢]
وليس فراقٌ ما استطعتْ فإنْ يكنْ
فراقٌ على حالٍ فليس إياب[٣]
صبورٌ ولو لم تبق مني بقيّةٌ
قؤولٌ ولو أنَّ السيوفَ جواب
وقورٌ وأحداثُ الزمانِ تنوشُني
وللموتِ حولي جيئةٌ وذهاب[٤]
بِمنْ يثقُ الإنسانُ في ما ينوبُه
ومِن أينَ للحرّ الكريمِ صحاب[٥]

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٢٥. طبعة دار البيان. دمشق.
(٢) الركاب: ما يركب من الدواب. والعرامة: القوة والصبر والجد.
(٣) الإياب: الرجوع والنكوص.
(٤) وقور: ذو وقار وحزم. وتنوشني: تطلبني.
(٥) ينوبه: يصيبه بمكارهه.

تغـابيْتُ عن قـومي فـظنّوا غبـاوتي
بمفـرقِ أغبـانـا حصىً وتـراب[1]
ولـو عـرفـوني بعضَ معـرفتي بهمْ
إذاً عـلمـوا أنّي شـهـدْتُ وغـابـوا
أنـا الـجـارُ لا زادي بـطيءٌ عليـهمُ
ولا دونَ مـالي في الحـوادث بـاب[2]
ولا أطـلبُ العـوراءَ مـنهـم أصيبُهـا
ولا عَـوْرتـي للطالـبيـن تُـصـاب[3]

* * *

أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٨ م)

(ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل)

ومن عيون شعر الفخر وأجوده وأروعه قصيدة أبي العـلاء المعري اللامية. أما أبو العلاء فهو الشاعر العباسي المشهور، شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء، صاحب «رسالة الغفران»

---

(١) تغابيت: تغافلت.

(٢) أي أنا الجار الكريم الذي لا يضع حداً للبذل والعطاء، ولم يوصد بابه في وجه قومه في الشدائد.

(٣) العوراء: العيب، ويريد أن يقول إنه يرى عيوبهم من غير أن يطلبها، وهم عاجزون عن التقاط عيب فيه.

و «لزوم ما لا يلزم» و «سقط الزّند». ولد بالمعرة، وما لبث أن فقد نعمة البصر، فنقم على الناس، واتسم شعره بالمرارة والثورة والتشاؤم. ومع ذلك فلا نعدم أن نجد في شعره لمعاً من الشعر الفخري الحافل بضروب المعاني الفريدة، حيث النفس الضخمة الشريفة المتطلعة إلى الدنيا من علٍ، لما فيها من فضائل، ولما في الناس من قبح وصغار. يقول أبو العلاء مفتخراً[1]:

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ
عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ[2]

أعِندي وقد مارسْتُ كلَّ خفيّةٍ
يُصدّقُ واشٍ أو يُخيّبُ سائل

تُعدُّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً
ولا ذنبَ لي إلاّ العلى والفواضل[3]

وقد سارَ ذكري في البلادِ فَمَنْ لهم
بإخفاءِ شمسٍ ضوؤُها متكامل

يهمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ
ويثقلُ رَضْوى دونَ ما أنا حامل[4]

---

(١) سقط الزند ص ٥٧ ـ ٥٩.

(٢) النائل: العطاء.

(٣) الفواضل، جمع فاضلة، وهي الدرجة الرفيعة من الفضل.

(٤) رضوى: اسم جبل.

وإني وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه
لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائل

وأغدو ولو أنَّ الصباحَ صوارمٌ
وأسري ولو أنَّ الظلامَ جحافل[1]

وإني جوادٌ لم يحلَّ لجامُه
ونِضْوٌ يمانٍ أغفلتْه الصياقل[2]

وإنْ كان في لبس الفتى شرفٌ له
فما السيفُ إلّا غمدُه والحمائل

ولي منطق لم يرضِ لي كُنْهَ منزلي
على أنني بينَ السِّماكيْنِ نازل[3]

ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً
تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنّيَ جاهل

فواعجباً كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ
ووا أسفاً كم يُظهرُ النقصَ فاضل

---

(١) جحافل، جمع جحفل، وهو الجيش الكثير العدد. والصوارم، جمع صارم، وهو السيف.

(٢) النضو: السهم الذي رمي به حتى بلي وفسد. والصياقل، جمع صيقل، وهو الذي يشحذ السيوف ويجلوها.

(٣) السماكان: نجمان معروفان في السماء.

ينافسُ يومي فِيَّ أمسي تشرّفاً
وتحسدُ أسحاري عليَّ الأصائل[1]
وطال اعترافي بالزمانِ وصرفِه
فلستُ أبالي مَن تغولُ الغوائل[2]
فلو بانَ عَضْدي ما تأسّفَ منكبي
ولو مات زندي ما بكتْه الأنامل
فإنْ كنتَ تبغي العِزَّ فابْغِ توسّطاً
فعندَ التناهي يقصرُ المتطاول
تُوقّى البدورُ النّقصَ وَهْي أهِلّةٌ
ويدركُها النقصانُ وهي كوامل

* * *

(هي الأيام لا تعطي قياداً)

ومن جيد فخر **أبي العلاء** قوله[3]:

أرى العنقاءَ تكبرُ أنْ تُصادا
فعاندْ مَن تطيقُ له عنادا[4]

---

(١) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت الذي يسبق غروب الشمس.

(٢) تغول: تهلك. والغوائل، جمع غائلة، وهي المهلكة.

(٣) ديوان سقط الزند ص ٦٠ ـ ٦٤.

(٤) العنقاء: طائر ضخم أسطوري.

وما نهنهْتُ عن طلبٍ ولكنْ
هي الأيامُ لا تُعطي قيادا[1]
ليَ الشّرفُ الذي يطأُ الثُّريا
مع الفضلِ الذي بهرَ العبادا
وكم عينٍ تُؤمّلُ أنْ تراني
وتفقدُ عندَ رؤيتي السوادا
أفلُّ نوائبَ الأيامِ وحدي
إذا جمعتْ كتائبُها احتشادا[2]
ولي نفسٌ تحلُّ بي الرّوابي
وتأبى أنْ تحلَّ بيَ الوهادا
تُمدُّ لتقبضَ القمريْنِ كفّاً
وتحمل كي تبذَّ النجمَ زادا[3]
ولو أني حُبيتُ الخلدَ فرداً
لما أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلتْ عليَّ ولا بأرضي
سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا

* * *

---

(١) نهنهت: منعت وكفيت.

(٢) أفل: أبدر وأقطع. ونوائب الأيام: صروفها وأحداثها.

(٣) تبذ: تنافس.

الفخر الجماعي

الفند الزِّمّاني

(صفحنا عن بني ذهل)

ومن جيد شعر الفخر ما قاله الفند، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي، الشاعر الجاهلي، والفارس الذي شهد حرب بكر وتغلب، وهي التي تعرف بحرب البسوس. يقول الفند مفتخراً بقومه الأشداء، بني حنيفة[1]:

صفحْنا عنْ بني ذُهْلٍ
وقلنا القومُ إخوانُ[2]
عسى الأيامُ أنْ يَرجعن
قوماً كالذي كانوا

(١) ديوان الحماسة ١/٦ ـ ٧.

(٢) بنو ذهل، قوم من العرب، وفي رواية (عن بني هند) وهي هند بنت مرّ، أخت تميم.

فلما صرَّحَ الشَّرُّ
فأمسى وهو عُريان[1]
ولم يبق سوى العدوانِ
دِنّاهمْ كما دانوا[2]
مشيْنا مِشيةَ اللّيثِ
غَدَوْا والليثُ غضبان[3]
بِضربٍ فيه توهينٌ
وتخضيعٌ وإقران[4]
وطعنٍ كَفَمِ الزِّقِّ
غذا والزِّقُّ ملآن[5]
وبعضُ الحلمِ عند الجهلِ
للذّاتِ إذعان[6]
وفي الشر نجاةٌ حينَ
لا يُنجيكَ إحسان

---

(١) صرح: انكشف. وعريان، كناية عن ظهور الشر ووضوحه.

(٢) دنّاهم: ألزمناهم بدينهم، وقهرناهم.

(٣) غدوا: بكروا. وغضبان، كناية عن الجوع. والليث أشد ما يكون عند الجوع.

(٤) التوهين: التضعيف والتذليل. والإقران: الاسترخاء والتتابع.

(٥) الزق: وعاء الخمر.

(٦) الإذعان: الانقياد. والحلم، خلاف الجهل، وهو العقل والصفح.

(ذوو جدّ إذا لبس الحديد)

وممن افتخر بقومه، بلاغتهم وشجاعتهم، حيان بن ربيعة الطائي، الشاعر الجاهلي المتقدم. يقول حيان

لقد علمَ القبائلُ أنَّ قومي
ذَوُو جدٍّ إذ لُبسَ الحديدُ
وأنا نِعمَ أحلاسُ القوافي
إذا استعر التنافرُ والنشيد
وأنا نَضربُ الملحاءَ حتى
تُولّي والسيوفُ لنا شهود[1]

* * *

(ليوث طعان عند كل طعان)

ومن جيد الفخر ورائعه ما قاله وداك بن سنان بن ثميل المازني، وهو شاعر جاهلي افتخر بقومه بني مازن لما أراد بنو شيبان صرفهم عن الماء الذي يقال له: سفوان. وفي هذا

(١) ديوان الحماسة ١/١٠٣. والملحاء: الكتيبة العظيمة. وأحلاس: ملازمون. وقوله: إذا لبس الحديد، كناية عن الاستعداد للحرب.

الفخر نجد الشعر الرائق، الجيد السبك، وعليه من بهاء النظم والحماسة ما يغري بالإعجاب. يقول ودّاك[1]:

رُوَيْدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدِكم
تُلاقوا غداً خيلي على سَفَوانِ[2]
تلاقوا جياداً لا تحيدُ عنِ الوغى
إذا ما غدتْ في المأزقِ المتداني[3]
عليها الكماةُ الغُرُّ مِن آلِ مازنٍ
ليوثُ طعانٍ عندَ كلِّ طعانِ[4]
تلاقوهمُ إذ تعرفوا كيفَ صبرُهم
على ما جنتْ فيهم يدُ الحدثانِ[5]
مقاديمُ وصّالون في الرَّوْعِ خطوَهم
بكلِّ رقيقِ الشّفرتَيْنِ يمانِ[6]
إذا استُنجِدوا لم يسألوا مَن دعاهمُ
لأيّةِ حربٍ أم بأيِّ مكانِ

* * *

---

(١) ديوان الحماسة ١/٣٢ ـ ٣٣.

(٢) رويد: مهلاً ورفقاً. وسفوان، اسم ماء قريب من البصرة.

(٣) الوغى: الحرب. والمأزق: المضيق.

(٤) الكماة: جمع كمي، وهو الفارس. والغر: البيض الوجوه.

(٥) الحدثان: صروف الدهر وأحواله.

(٦) مقاديم، جمع مقدام، وهو الكثير الإقدام في الحرب. والروع: الحرب=

(إن الكرام قليل)

هو أبو شريح السموأل بن عادياء الشاعر الجاهلي، من يهود المدينة، وكان جواداً عالي الهمة، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وهو الذي فضل أن يُقتل ابنه، ولَمْ يخفر ذمته مع امرىء القيس الذي أودعه دروعه، فضرب المثل بوفائه. ومن جيد شعر السموأل وأروعه في الفخر بكرم الأخلاق والشهامة والشجاعة قوله[1]:

إذا المرءُ لم يدنسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرضُه
فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
تُعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا
فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا
عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ
لنا جبلٌ يحتلُّه مَنْ نجيرُه
منيعٌ يردُّ الطّرفَ وهْو كليلُ[2]

= واللقاء. ورقيق الشفرتين، إشارة إلى السيف. واليمان: المنسوب إلى اليمن.

(١) تاريخ الآداب العربية ١/٩٢-٩٣.

(٢) المقصود بالجبل، الحصن الذي كان للسموأل. وكليل: ضعيف.

وقـد هـرّتْ كـلابُ الـحـيِّ مِـنّـا

وشـذّبْـنـا قـتـادةَ مـنَ يـلـيـنـا[1]

متى نـنقـلْ إلـى قـومٍ رَحـانـا

يكـونـوا في اللقـاءِ لهـا طـحـيـنـا

نـطاعـنُ مـا تـراخى الـنـاسُ عنـا

ونـضـربُ بـالسـيـوفِ إذا غشـيـنـا

بسمـرٍ من قـنـا الـخـطّيِ لُـدْنٍ

ذوابـلَ أو بـبـيضٍ يـخـتـلـيـنـا[2]

نـشـقُّ بـهـا رؤوسَ الـقـومِ شَـقّـا

ونُـخـليـهـا الـرقـابَ فـتـخـتـلـيـنـا

ورثْـنـا المـجـدَ قـد علمـتْ مَعَـدٌّ

نـطاعـنُ دونَـه حـتـى يـبـيـنـا

ونـحـن إذا عـمـادُ الـحـيِّ خـرَّتْ

عنِ الأحفـاصِ نمنـعُ من يليـنـا[3]

بـشـبّـانٍ يـرون الـقـتـلَ مـجـداً

وشِيبٍ فـي الحـروبِ مجـرّبـيـنـا

---

(١) القتادة: الشوكة.

(٢) السمر: صفة للرماح، واللدن: اللينة، ومثلها الذوابل.

(٣) الأحفاص: الخيام وأمتعتها.

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

ونحن الحاكمونَ إذا أطعْنا

ونحن العازمون إذا عصينا

ونحن التاركون لما سخطْنا

ونحن الآخذون لما رضينا

وقد علمَ القبائلُ مِن مَعَدٍّ

إذا قُببٌ بأبطحِها بنينا

بأنا المطعمونَ إذا قدرْنا

وإنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردْنا

وأنا النازلون بحيث شينا

ونشربُ إن وردْنا الماءَ صفواً

ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا

ونحن البحرَ نملأُه سفينا

إذا بلغَ الرضيعُ لنا فطاماً

تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

* * *

وهو بشامة بن حزن، وأغلب الظن أنه من الشعراء الإسلاميين. والشاعر هنا يفتخر بقومه بني نهشل، السابقين لكل مكرمة، والمرخصين نفوسهم في سبيل حياة العزة والشرف والسؤدد. يقول بشامة[1]:

إنّا بني نهشلٍ لا ندّعي لأبٍ
عنه ولا هو بالأبناءِ يَشْرينا
إنْ تُبتدرْ غايةٌ يوماً لِمكرمةٍ
تلقَ السّوابقَ منّا والمصلّينا[2]
وليسَ يهلكُ منّا سيدٌ أبداً
إلّا افْتلينا غلاماً سيّداً فينا[3]
إنّا لَنُرخصُ يومَ الرَّوْعِ أنفسَنا
ولو نُسام بها في الأمنِ أغلينا[4]
بيضٌ مفارقُنا تغلي مراجلُنا
نأسوا بأموالِنا آثارَ أيدينا[5]

(١) ديوان الحماسة ١/٢٥ ـ ٢٧.
(٢) تبتدر: تستبق. والمصلين: السابقين.
(٣) افتلينا: افتطمنا وأخذنا عن الأم.
(٤) نرحض: نجعلها رخيصة. ويوم الروع: يوم الكريهة واللقاء.
(٥) بيض مفارقنا، كناية عن الصفاء والنقاوة من الذم والعيب. ونأسو: نداوي، وهنا كناية عن الغنى والسطوة.

إني لـمـنْ مـعـشـرٍ أفـنـي أوائـلَهـم

قيـلُ الكُمـاةِ ألا أينَ المحـامـونـا[1]

لـو كانَ في الألفِ منّـا واحـدٌ فـدعَـوْا

مَن فـارسٌ خـالَهـم إيّـاه يعـنـونـا

إذا الـكـمـاةُ تـنـحّـوْا أنْ يـصـيـبـهُـم

حـدُّ الـظُّبـاةِ وصلْنـاهـا بـأيـدينـا[2]

ولا تـراهـم وإنْ جلّتْ مـصـيـبـتُـهـم

مـعَ البكـاةِ على مَن مـاتَ يبكـونـا

ونـركبُ الكُـرْهَ أحيـانـاً فيفـرجُـه

عنّـا الحفـاظُ وأسيـافٌ تـواتينـا[3]

* * *

حسّان بن نشبة

(تركنا لهم شقّ الشمال)

ومن جيد الفخر الجماعي بالقوم والقبيلة ما قاله حسان بن نشبة العدوي التيمي[4]:

---

(١) الكماة: الفرسان، جمع كميّ. وهنا يشير إلى أنهم أصحاب نجدة وإقدام.

(٢) الظباة: جمع ظبة، وهي حد السيف.

(٣) الكره: الشدة والمكروه. وركوب الكره، كناية عن الوقوع فيه والقصد إليه. وتواتينا: توافقنا.

(٤) ديوان الحماسة ١/١٢٤.

أتـاني فلم أسـرزْ بـهِ حينَ جـاءني
حـديثٌ بـأعلى القُنَّتيْـن عجـيبُ[1]
تـصـامَمْتـه لمّـا أتـاني يـقـينُـه
وأفـرعَ منـه مخـطـئٌ ومـصـيب[2]
وحُـدِّثتُ قـومي أحـدثَ الـدهـرُ فيهم
وعـهـدُهمُ بـالـحـادثـاتِ قـريب
فـإنْ يـكُ حقّـاً مـا أتـاني فـإنهم
كـرامٌ إذا مـا الـنـائـبـاتُ تـنـوب
فـقيـرُهـمُ مُبـدي الـغنى وغنيُّـهـم
لـه ورق لـلـسـائـليـنَ رطـيـب[3]
ذلـولُـهمُ صـعبُ الـقيـادِ وصـعبُـهم
ذلـولٌ بـحقِّ الـراكـبيـنَ ركـوب[4]
إذا رنّـقتْ أخـلاقَ قـومٍ مـصـيبـةٌ
تَصفّى لهـا أخـلاقـهمُ وتـطـيـب[5]

---

(١) القنتين: اسم جبل.

(٢) تصاممته، أي تصاممت عنه، وأظهرت الصمم.

(٣) لهم ورق رطيب، كناية عن الندى والغنى.

(٤) الذلول: السهل الركوب والجانب، كنـاية عن حسن الخلق، والصعب، خلافه.

(٥) رنقت: كدرت.

ومن يغمـروا منهم بفضـلٍ فـإنـهم
إذا مـا انتمى في آخـرينَ نجيب[1]

* * *

إبراهيم بن كنيف

(وليس على ريب الزمان معوّل)

ومن أروع الفخر ما قاله إبراهيم بن كنيف، في نبهان، وهو شاعر إسلامي يفخر بقوة جلده واحتماله الشدائد والمكاره، ولا يخلو فخره من الحكمة والمثل، فيقول[2]:

تَعَـزَّ فـإنَّ الصبـرَ بـالحـرِّ أجمـلُ
وليس على رَيْبِ الـزمـانِ معـوَّلُ[3]
فلو كـان يُغني أنْ يُرى المرءَ جازعـاً
لحـادثـةٍ أو كـانَ يُغـني التـذلّـل[4]
لكـان التعـزِّي عنـدَ كـلِ مصيبـةٍ
ونـائبـةٍ بـالـحـرِّ أولـى وأجـمـل

(١) النجيب: الفاضل.
(٢) ديوان الحماسة ١/٨٨ ـ ٨٩.
(٣) المعول: ما يعتمد عليه. وريب الزمان: صرفه.
(٤) يغني: ينفع. وجازعاً: غير صابر.

وأقام العزُّ فينا والغنى
فلنا فيه على الناسِ الكبر
نحن أهلُ العزِّ والمجدِ معاً
غيرُ أنكاسٍ ولا ميلٍ عُسُر(٣)
فاسألوا عنا وعن أفعالِنا
كلُّ قومٍ عندَهم علمُ الخبر

* * *

(كل دار فيها أب لي عظيم)

ولا يقل هذا الفخر الآخر عن الأول روعة وأداء. يقول حسان مفتخراً بخاله وأبيه:

إنّ خالي خطيبُ جابيةِ الجولانِ
عندَ النعمانِ حينَ يقومُ
وهو الصقرُ عند بابِ ابن سلمي
يومَ نعمانُ في الكبولِ سقيم
وسطت نسبتي الذوائبَ منهم
كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيم
وأبي في سميحة القائلُ الفاصلُ
يومَ التفّتْ عليه الخصوم

---

(١) الأنكاس: الضعاف، جمع نكس. والميل، جمع أميل، وهو الذي بلا سيف. والعسر، جمع أعسر، وهو الذي يعمل بيسراه.

يفصلُ القولَ بالبيانِ وذو الرأيِ
مِن القومِ ظالمٌ مكعوم[1]

* * *

أبو النجم (١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م)

(فلئن فخرت بوائل)

أبو النجم، واسمه الفضل بن قدامة العجلي، أحد رجال الطبقة التاسعة من الرجاز في العصر الأموي. وربما قصّد أبو النجم، أي قال القصيد، لا الرجز، فأجاد، ومن هذا القبيل هذه الأبيات المقتطفة من قصيدة له، وهي تعتبر من أروع الفخر بالآباء ومناقبهم. يقول أبو النجم[2]:

فلئن فخرتُ بوائلٍ فقدِ ابْتنتْ
يومَ المكارمِ فوقَ كلِّ بناءِ[3]
ولئنْ خصصتُ بني لجيمٍ إنني
لأخصُّ مكرمة وأهل غناءِ[4]

---

(١) البيان والتبيين ٢/٣٧٤. والمكعوم: الذي في فمه الكعامة، فهو لا يستطيع النطق. وظالع: مائل ومنحرف يعرج في مشيه.

(٢) طبقات الشعراء، ص ٢٢٠.

(٣) وائل، إحدى أشهر قبائل العرب، ومنها بكر وتغلب.

(٤) الغناء: الفضل والخير.

سلي الرماحَ العوالي عنْ معالينا
واسْتشهدي البيضَ هل خابَ الرّجافينا

وسائلي العربَ والأتراكَ ما فعلتْ
في أرض قبر عبيد اللّهِ أيدينا

لمّا سعيْنا فما دقّتْ عزائمُنا
عمّا نرومُ ولا خابتْ مساعينا

إذا ادَّعوا جاءتِ الدنيا مصدّقةً
وإنْ دعوا قالت الأيامُ آمينا

وللدماءِ على أثوابِنا علقٌ
بنشرِه عن عبيرِ المسكِ يغنينا[1]

فيالها دعوةً في الأرضِ سائرةً
قد أصبحتْ في فم الأيامِ تلقينا

إنّ لقومٌ أبتْ أخلاقُنا شرفاً
أنْ نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا

بيضٌ صنائعُنا سودٌ وقائعُنا
خضرٌ مرابعُنا حمرٌ مواضينا[2]

* * *

---

(١) النشر: الرائحة. والعلق: الدم والنشر.

(٢) الصنائع: الفضائل المعروفة. والوقائع: الأيام والحروب.

الباب الثالث

الفخر المشترك

طرفة (ت حوالي ٥٥٢ م)

(إذا القوم قالوا من فتى)

طرفة من الشعراء الجاهليين المتقدمين، وأحد أصحاب المعلقات المعدودين؛ ولقد تضمنت معلقته العديد من الأغراض الشعرية، وإن منها هذا الفخر الرائع بالجرأة والشجاعة والنجدة والجود والمنعة والمضاء[١]:

إذا القومُ قالوا مَن فتىً خِلتُ أنني
عُنيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّدِ
ولستُ بحلّالِ التلاعِ مخافةً
ولكنْ متى يسترفدِ القومُ أرفدِ[٢]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٤ ـ ٢٨.

(٢) التلاع: مرتفعات الأرض الكثيرة الماء يسترفد: يطلب الرفد والعون. وأرفد: أعين وأناصر.

طرفة مفتخراً بمناقب قومه[1]:

سـائـلوا عـنّـا الـذي يـعـرفُـنـا
بـقـوانـا يـومَ تـحـلاقِ الـلّـمْـمْ

يـومَ تُبـدي البـيضُ عن أسْـوُقِهـا
وتـلفُّ الـخـيـلَ أعـراجُ الـنّـعـم[2]

أجـدرُ الـنـاسِ بـرأسٍ صـلدمٍ
حـازمِ الأمرِ شجـاعٍ في الـوغم[3]

خـيـرِ حيٍّ مِـن مَـعَـدٍّ عـلـمـوا
لِـكَـفـيٍّ ولـجـارٍ وابـنِ عـمّ[4]

نُـقـلٌ لـلشّـحـمِ في مشـتـاتـنـا
نُـحُـرٌ لِلنّـيـبِ طـرّادُ الـقـرم[5]

نـزعُ الـجـاهـلَ في مـجلسِـنـا
فتـرى المجلسَ فينـا كـالـحـرم[6]

---

(١) ديوان طرفة ص ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) الأسوق، جمع ساق، ما بين الكعب والركبة. والأعراج: قطعان الإبل. والنعم: الماشية.

(٣) الصلدم: الشديد البأس. والوغم: الحرب الضروس.

(٤) الكفي: الرغيد العيش. ومعد، أحد أجداد العرب الشماليين.

(٥) نقل للشحم، كناية عن الكرم وإطعام الضيف. والمشتاة: محل الإقامة في الشاء. والنحر: جمع ناحر، وهو ذابح الناقة. والنيب، النياق المسنّة. والقرم: الشوق إلى اللحم.

(٦) نزع: نردع.

وتـفـرّعْـنـا مـن ابـنـيْ وائـلٍ
هـامـةَ العـزِّ وخـرطـومَ الكـرم[1]
حين يحمي النـاسُ نحمي سـربَنـا
واضحي الأوجـهِ معـروفي الكـرم
نُمسـكُ الخيـلَ على مكـروهِـهـا
حـيـن لا يـمـسـكُ إلاّ ذو كـرم
نـذرُ الأبـطالَ صـرعـى بيـنـهـا
تعكفُ العـقبـانُ فيهـا والـرُّخـم[2]

* * *

(صبرنا وكان الصبر منا سجيّة)

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة المريّ، شاعر جاهلي مقدم مقلّ في شعره، ومن الفرسان المعدودين. قيل إن أشعر المقلّين ثلاثة: المسيب بن علس والحصين بن الحمام المري، والمتلمس.

ولقد حفظت الكتب للحصين أبياتاً فخرية هي من أجـود

(١) ابنا وائل: بكر وتغلب. وطرفة من بكر، وكانت امه تغلبية. والخرطوم: الأنف.

(٢) تعكف: تستدير. والعقبان والرخم، من جوارح الطير.

فجاؤوا عارضاً بِرداً وجئنا
كمثلِ السَّيلِ نركبُ وازعيْنا[1]
تنادَوْا يا لَبهثةَ إذْ رأوْنا
فقلْنا أحسني ضرباً جُهَينا[2]
سمعنا دعوةً عن ظهرِ غيبٍ
فجلْنا جولةً ثم ارعوينا
فلما أنْ تواقفْنا قليلاً
أنخنا للكلاكلِ فارتمينا[3]
فلمّا لم ندعْ قوساً وسهماً
مشيْنا نحوهم ومَشَوْا إلينا
شددْنا شدّةً فقتلتُ منهم
ثلاثةَ فتيةٍ وقتلتُ قيْنا[4]
فآبوا بالرماحِ مكسّراتٍ
وأبْنا بالسيوفِ قد انحنينا[5]

---

(١) عارضاً: سحاباً معترضاً في الأفق. والبرِد: ما فيه برد. والوازع: من يرتب الجيش ويصلحه.

(٢) تنادوا: نادى بعضهم بعضاً. وبهثة وجهينة، بطنان من العرب.

(٣) تواقفنا: وقف كل منا للاستراحة من الحرب. والكلاكل: الصدور.

(٤) القين: اسم للفارس.

(٥) آبوا: رجعوا.

فبـاتـوا بـالصّعيـدِ لـهـم أحـاحٌ
ولـو خفَّتْ لنـا الكلمى سَـرْينـا[1]

* * *

(فأبت بنفس قد أصبت دواءها)

هـو أبو يـزيد قيس بن الخـطيم، ينتمي إلى بني ظفر من الأوس. من شعراء المدينة، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم. قتله الخزرج.

وكان رجل من بني حارثة بن الحارث يقال له: مالك، قد قتل الخطيم، والد الشاعر، وهو صغير، فلما بلغ عُيّر بذلك، ثم أقدم على قتل مالك. وفي الأبيات التالية إشارة إلى ذلك، وهي تعتبر من رائع الفخر. يقول قيس[2]:

وكنتُ امْـرءاً لا أسمـعُ الـدهـرَ سُبَّـةً
أسبُّ بهـا إلا كشفْـتُ غـطاءَهـا[3]

---

(١) الصعيـد: الـظاهـر من الأرض. والأحـاح: الصـوت والأنين. وكلمى: أصابتهم الجراح. وسرينا: سرنا ليلاً.

(٢) الديوان ص ٤٩ ـ ٥٠. ط ٢. تحقيق ناصر الـدين الأسد. دار صـادر. بيروت ١٩٦٧ م.

(٣) أي هو لا يقبلّ الطعن على نفسه.

(الواطئين على صدور نعالهم)

ومن جيد المدح في الجاهلية، ما قاله الأعشى، الشاعر الجاهلي المعروف، وأحد أصحاب المعلقات، واسمه ميمون بن قيس، يفتخر بقومه الذي ضربوا المثل في السؤدد والسيادة والشجاعة وإقراء الضيف. يقول الأعشى[١]:

إني امرؤٌ مِن عصبةٍ قيسيَّةٍ
شمِّ الأنوفِ غرانقٍ أحشادِ[٢]
الواطئين على صدورِ نعالِهم
يمشون في الدفنيِّ والأبراد[٣]
والشاربين إذا الذوارعُ غُوليتْ
صفوُ الفضالِ بطارفٍ وتِلاد[٤]
والضامنين بقومِهم يوم الوغى
للحمدِ يومَ تنازلٍ وطِراد

(١) ديوان الأعشى ص ٥١ ـ ٥٢. دار صادر. بيروت.

(٢) الغرانق: جمع غرنيق، وهو الشاب الناعم. وشم الأنوف، كناية عن الرفعة. والأحشاد: المجتمعون.

(٣) الدفني: الثوب المخطط. والأبراد: الأثواب، جمع برد. وهنا يتحدث الشاعر عن النعمة التي فيها قومه.

(٤) الذوارع: جمع ذروع، وهو البعير. وغوليت: أهلكت. والطارف: الجديد من المال، والتلاد: قديمه.

كم فيهُم مِن فارسٍ يومَ الوغى
ثقِفِ اليدَيْنِ يهلُّ بالإقصاد[1]
وإذا اللقاحُ تروَّحَتْ بأصيلةٍ
رَتَكَ النعامِ عشيَّة الصراد[2]
حجروا على أضيافِهم وشَوَوْا لهم
مِن شطِّ مُنقية ومن أكباد[3]

* * *

(ولا نلعن الأضياف إن نزلوا بنا)

ومن جيد الفخر بالكرم والضيافة، والحلم والوقار، ما قاله أيضاً[4]:

فلا تصرميني واسألي ما خليقتي
إذا ردَّ عافي القدر مَن يستعيرُها
إذا احمرَّ آفاقُ أسماءِ وأعصفتْ
رياحُ الشتاءِ واستهلّتْ شهورُها

(١) يهل بالإقصاء، أي يصيب بالسهام.
(٢) اللقاح: الإبل الفتية. وتروحت: عادت إلى المراح. والرتك: ضرب من السير. والصراد: الغيم الرقيق.
(٣) حجروا عليهم: ضيقوا عليهم وأبقوهم عندهم. والشط: السنام. والمنقية: السمينة من الإبل.
(٤) الديوان ص ٦٧ ـ ٦٨.

تَـرَيْ أنَّ قِـدري لا تـزالُ كـأنـهـا
لِـذي الفـروةِ المقـرورِ أمٌّ يـزورهـا
مـبـرّزةٌ لا يُجـعـلُ السـتـرُ دونـهـا
إذا أُخمـدَ النيـران لاحَ بشيـرُهـا
ولا نلعنُ الأضيـافَ إنْ نـزلـوا بنـا
ولا يمنـعُ الكومـاء منّـا نصيـرهـا
وإنّـي لَتـراكُ الـضـغـينـةِ قـد أرى
قـذاهـا من المـولى فـلا أستثيـرهـا
وقـورٌ إذا مـا الجهـلُ أعجبَ أهـلَه
ومِن خيـرِ أخـلاقِ الـرجـالِ وُقـورهـا

* * *

عامر بن الطفيل (ت ١٠ هـ/ ٦٣١ م)

(فما سوّدتني عامر عن وراثة)

ومن جيد الفخر وأروعه فخر عامر بن الطفيل، وهو من بني عامر بن قيس عيلان، وأحد فرسان قومه، بل سيّدهم غير المنازع. عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وكان ممن وفد على النبي ﷺ ومعه أربد أخو لبيد، لكنه لم يسلم، وذهب مغاضباً.

يقول عامر مفتخراً بنفسه البطلة[1]:

تقولُ ابنةُ العَمْريِّ مالكَ بعدما
أراكَ صحيحاً كالسليمِ المعذَّبِ[2]
فقلتُ لها همّي الذي تعرفينه
مِن الثأرِ في حيَّيْ زبيدٍ وأرحب[3]
إنَ اغْزُ زبيداً أغزُ قوماً أعزّة
ومركبُهم في الحيِّ مِن خيرِ مركب
وإنْ أغزُ حيَّيْ خثعمٍ فدماؤُهم
شفاءٌ وخيرُ الثأرِ للمتأوِّب[4]
فما أدركَ الأوتارَ مثلُ محقّقٍ
بأجردَ طاوٍ كالعسيبِ المشذَّب[5]
وأسمرَ خطّيٍّ وأبيضَ باترٍ
وزغفٍ دلاصٍ كالغديرِ المثوَّب[6]

---

(١) زهر الآداب ١/٨٦، والكامل ١/٩٥، والشعر والشعراء، ص ٢٩٥.

(٢) السليم: الملدوغ.

(٣) زبيد وأرحب، حيّان من أحياء اليمن.

(٤) المتأوب: الذي يأتي لطلب الثأر.

(٥) الأوتار، جمع وتر، وهو الحقد، والأخذ بالثأر. والأجرد: صفة للفرس المنحسر الشعر. والعسيب: السعفة من النخل.

(٦) الأسمر، صفة للرمح. والخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو البلد الذي تصنع فيه الرماح. والأبيض الباتر، صفة للسيف. والزغف: الدرع =

وإني وإنْ كنتُ ابْنَ سَيِّدِ عامرٍ
وفي السِّرِّ منها والصَّريحِ المهذّب
فما سوّدتني عامرٌ عن وراثةٍ
أبى اللّهُ أنْ أسمو بأمٍّ ولا أب
ولكنّني أحمي حِماها وأتّقي
أذاها وأرمي مَن رماها بمنكب

* * *

(أكرّ عليهم دعلجاً)

ولعامر، مخاطباً زوجته، بيتان من جيد شعر الفخر، قالهما يوم فيف الريح، وقد تجمع بنو الحارث بن كعب على بني عامر وهما:

طلقت إن لم تسألي أيّ فارس
حليلك إذ لاقى صداء وخثعما
أكرّ عليهم دعلجاً ولبانه
إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحما[1]

* * *

= الدقيقة النسج. والدلاص: الدرع اللينة الملساء. والمثوب: الذاهب والآتي.

(١) ديوان الحماسة ٤٣/١. دعلج، اسم فرس الشاعر. وصداء وخثعم، إسما قبيلتين عربيتين. واللبان: الصدر. والحمحمة: الصهيل.

(وعندك من أيامنا قبلها غير)

ومن جيد ما قاله عامر بن الطفيل، يرد به على زياد، أي النابغة الذبياني ويفتخر بقومه[1]:

تُعيرُنا يومَ المَرْوراة سادراً
وعندك من أيامنا قبلها غِيَرْ[2]
فَمَنْ مُبلغٌ ذبيانَ عنّي رسالةً
مغلغلةً مني وما تنفعُ العِذَرْ[3]
وقد علمتْ عُليا هوازنَ أننا
بنو الحربِ لا نعيا بِوردٍ ولا صَدَرْ[4]
نشدُّ عصابَ الحربِ حتى ندرّها
إذا ما نفوسُ القوم طالعت الثُغَر[5]
ترى رائداتِ الخيلِ حولَ بيوتنا
أبابيلَ تردي بالعشي وبالبُكُرْ[6]

* * *

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٧٢ دار صادر دار بيروت ١٩٦٣.

(٢) يوم مروراة، يوم مشهور سمي بالموضع الذي كان ظفر فيه بنو ذبيان ببني عامر. وسادراً: لاهياً. والغير: صروف الزمان وحوادثه.

(٣) ذبيان، اسم قبيلة عربية. والعذر: الأعذار.

(٤) هوازن: اسم قبيلة عربية. والورد: إتيان الماء. والصدر: الذهاب عنه.

(٥) الثغر: جمع ثغرة، وهي نقرة النحر.

(٦) أبابيل: متفرقة جماعات جماعات.

(وإن يغضب على القوم يغضبوا)

من جيد الشعر في الفخر، شعر حريث بن مخفض المازني، وهو من الشعراء المخضرمين في الجاهلية والإسلام. يقول حريث مفتخراً بقومه[1]:

أَلَمْ تَرَ قَوْمي إنْ دعاهم أخوهمُ
أجابوا وإنْ يغضبْ على القومِ يغضبوا
همُ حفظوا غيبي كما كنتُ حافظاً
لقوميَ أخرى مثلها إنْ تغيّبوا
بنو المجدِ لم تقعدْ بهم أمهاتُهم
وآباؤهم آباءُ صدقٍ فأنجبوا[2]

* * *

(فما ذاكم عليّ بعار)

ومن جيد فخره بنفسه وبقومه قوله أيضاً[3]:

وإنْ تكُ درعي يومَ صحراء كلبةٍ
أُصيبتْ فما ذاكمْ عليَّ بعارِ

---

(١) طبقات الشعراء ص ٧٤.
(٢) أنجبوا، أي صار نجباء، وأولدوا أولاداً نجباء خيّرين.
(٣) الحيوان ٣/ ٣٨٩.

أَلَمْ تَـكُ مِن أسـلابكم قبـلَ ذاكمُ
على وَقَبى يـومـاً ويـومِ سفـارِ[1]
ونحن طَـرَدْنا الحيَّ بكـرَ بنَ وائـلٍ
إلى سنـةٍ مثـلِ الشهـابِ ونـارِ

* * *

(وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً)

ومن رائع الفخر ما قاله قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري، وهو من الشعراء المخضرمين المتقدمين، وكان النبي ﷺ استعمله على صدقات بني سعد. يقول مفتخراً بجوده وكرمه وإقرائه الضيف، وهو من فريد المعاني[2]:

أيـا ابْنـةَ عبـدِ اللَّهِ وابنـةَ مـالـكٍ
ويا ابنةَ ذي البردَيْنِ والفرسِ الوَرْدِ[3]
إذا مـا أصبتِ الـزّادَ فـالتمسي لـه
أكـيـلاً فـإني لستُ آكلـه وحـدي

(١) وقبى وسفار: يومان من أيام العرب.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٤٥.
(٣) البردين، مثنى برد، وهو الثوب. والفرس الورد، الذي له لون الورد.

قصيّاً كريماً أو قريباً فإنني
أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ مِن بعدي
وإني لعبدُ الضّيفِ ما دامَ ثاوياً
وما مِن خلالي غيرَها شيمة العبد[1]

* * *

(خطباء حين يقوم قائلهم)

ومن جيد فخره يذكر مناقب قومه في الخطابة والبلاغة[2]:

إنّي امْرؤٌ لا يعتري خُلُقي
دنسٌ يفنِّده ولا أفنُ[3]
مِن منقرٍ في بيتِ مكرمةٍ
والأصلُ ينبتُ حولَه الغصنُ[4]
خطباءُ حينَ يقومُ قائلُهُم
بيضُ الوجوهِ مصاقعٌ لُسن[5]

---

(١) غيرها، هنا، استثناء مقدم. والشيمة: الصفة.

(٢) البيان والتبيين ١/١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) يعتري: يصيب. والأفن: نقص العقل، والخُرق. ويفنده. يظهره.

(٤) منقر، قوم الشاعر.

(٥) مصاقع، جمع مصقع، وهو الحاد اللسان. ومثله اللسن.

لا يـفـطنـون لِعـيـبِ جـارِهِـم
وهـمُ لِـحـسـنِ جـوارِهـم فـطن

* * *

لبيد (ت ٤١ هـ)

(ضمنّ له قراه من الشحوم)

ومن الفخر الجيد الرائع ما قاله لبيد في قومه، ولبيد، كما هو معروف من فحول الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية، وأدركوا الإسلام، وهو من أصحاب المعلقات المشهورين، ويعتبر أحد المعمّرين.

يقول لبيد[1]:

فـلا وأبـيـك مـا حـيٌّ كـحـيٍّ
لـجـارٍ حـلَّ فـيـهـم أو عـديـمِ
ولا لـلـضـيـفِ إن طـرقـتْ بـلـيـلٌ
بـأفـنـانِ العِـضـاهِ وبـالـهـشيـمِ[2]

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٠٣ ـ ١٠٦. تحقيق إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢ م.

(٢) البليل: الريح الباردة. فيها بلل. والعضاة: الشجر العظام ذات الشوك. والهشيم: ما يبس من النبت.

ورُوِّمت اللقاحُ بغير دَرٍّ

إلى الحجرات تعجلُ بالرسيمَ[1]

إذا ما درّها لم يَقْرِ ضيفاً

ضمِنَّ له قِراهُ منَ الشحوم

فلا نتجاوزُ العطلات منها

إلى البَكْرِ المقاربِ والكزوم[2]

ولكنا نعضّ السيفَ منها

بأسوُقِ عافياتِ اللحم كُوم[3]

وكم فينا إذا ما المحلُ أبدى

نحاسَ القومِ مِن سمْحٍ هضوم[4]

يباري الريحَ ليس بجانبيٍّ

ولا دفنٍ مروءتُه لئيم

إذا عُدَّ القديمُ وجدْتَ فينا

كرائمَ ما يُعدُّ من القديم

---

(١) الدر: اللبن. والرسيم، ضرب من السير. واللقاح: الإبل. واللقاح: الحمل.

(٢) العطلات: الطوال الأعناق. المقارب: الدنيء. الكزوم: الناقة المسنة الهرمة.

(٣) العافيات: كثيرات اللحم. نعض السيف: نضرب به. الكوم: عظام الأسنمة. والأسواق: القوائم.

(٤) نحاس القوم: طبيعتهم. والهضوم: السخي.

وجـدتَ الـجـاهَ والآكـالَ فـيـنـا
وعـاديَّ الـمـآثـرِ والأروم[1]

* * *

(ولكل قوم في النوائب خيم)

وله في قومه[2]:

قـومي أولئـك إنْ سـألتِ بخيمِهـم
ولكـلِّ قـومٍ في النـوائبِ خِيمُ[3]
وإذا شـتَـواْ عـادت على جيرانهـم
رُجُـحٌ تـوفِّـيـهـا مـرابـعُ كـوم
ولـهـم حـلومٌ كـالجـبال وسـادةٌ
نُـجـبٌ وفـرعٌ مـا جـدٌ وأروم
وإذا تـواكـلت المـقـانبُ لم يـزل
بـالـثغـر مـنـا منسـرٌ وعـظيـم[4]
نـسـمـو بـه ونـفـلُّ حـدَّ عـدوِّنـا
حتى نـؤوبَ وفي الـوجـوه سـهـوم

---

(١) الآكال، جمع أكل، وهي الأموال. والعادي: القديم. والأروم: الأصل.
(٢) الديوان ص ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٣) الخيم: الخلق.
(٤) المقانب: الكتائب. والمنسر: الكتيبة من ثلاثين إلى أربعين رجلاً. والسهوم: الضمور. والثغر: موضع المخافة.

(ولكلّ قوم سنّة وإمامها)

ومن جيد فخر لبيد، ذلك الفخر الذي ضمّنه معلقته المشهورة، وهو يدور حول الشجاعة والسخاء والتمسك بالخلق القويم. يقول لبيد مخاطباً نواراً، حبيبته[1]:

أَوَ لَمْ تكنْ تدري نوارُ بأنني
وصّالُ عقدِ حبائلٍ جذّامُها[2]
تـرّاكُ أمكنـةٍ إذا لـم أرضَهـا
أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها
بل أنتِ لا تدرين كم مِن ليلةٍ
طلقٍ لذيذٍ لهوُها وندامها[3]
قد بتُّ سامرَها وغايةَ تاجرٍ
وافيتُ إذ رفعتْ وعزَّ مُدامها[4]
ولقد حميتُ الحيَّ تحملُ شكّتي
فرطٌ وشاحي إذ غدوتُ لجامُها
فعلوتُ مرتقياً على ذي هبوةٍ
حرجٍ إلى أعلامهنَّ قتامها[5]

---

(١) المعلقات العشر ص ١٠٢ ـ ١٠٧.

(٢) جذام: قطاع. ويريد بقوله: وصال عقد، أنه لا ينقض العهد، بل يصله.

(٣) طلق: ساكنة لا فيها حرّ ولا برد. وندام: رفاق الشراب.

(٤) المدام: الخمرة، وهنا يفتخر بشربه وماله.

(٥) ذي هبوة، يريد به فرسه. والقتام: الغبار.

حتى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ
وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامها[1]
أسهلتْ وانتصبتْ كجذعِ منيفةٍ
جرداء يحصرُ دونها جرّامها[2]
إنّا إذا التقتِ المجامعُ لم يزلْ
منّا لزازُ عظيمةٍ جشّامها[3]
مِن معشرٍ سنّتْ لهم آباؤهم
ولكلِّ قومٍ سنّةٌ وإمامها
إنْ يفزعوا تلق المغافرَ عندهم
والسّنّ يلمعُ كالكواكبِ لامها[4]
لا يطبعون ولا يبورُ فعالُهم
إذْ لا يميلُ مع الهوى أحلامها

* * *

العجير السلولي

(إذا ناء منهم كوكب غار كوكب)

من الشعراء الإسلاميين المجيدين، العجير بن عبد الله

---

(١) الكافر: الليل، وأجنّ: ستر. والثغور: المواضع التي يدافع عنها.

(٢) جرداء: خالية من السعف والليف. والجرّام: من يجرم النخل ويقطع احماله.

(٣) لزاز: شديد.

(٤) اللام، جمع لامة، وهي الدرع. والمغافر: الدروع، جمع مغفر.

السلولي، وهو في الطبقة الخامسة منهم. له من الفخر الجيد السهل والجزل معاً، قوله مفتخراً بنفسه وبقومه[1]:

خلقتُ جواداً والجوادُ مثابرٌ
على جريهِ ذو علّةٍ ويسيرُ
فلا توزعيني إنما يوزعُ الذي
به ضَعَفٌ أو في القيامِ فتور[2]
ولا تزدريني وانظري ما خليقتي
إذا ضاقَ أمرٌ أو أناخَ أمير[3]
فإنّ بني كعبٍ رجالٌ كأنهم
نجومُ السُّرى سُدّتْ بهنّ ثغور[4]
تحلّبُ أيديهم نجيعاً ونائلاً
إذا البُزْلُ لم يصبحْ بهنَّ درور[5]
مَرَوْها بأطرافِ العوالي فأسبلتْ
نجيعاً له تحتَ اللّبانِ خرير[6]

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢) توزعيني: تمنعينني وتكفّيني.

(٣) الخليقة: الطبيعة.

(٤) السرى: السير ليلاً. والثغور: المواضع المتقدمة التي يدافع عنها.

(٥) تحلّب، الأصل: تتحلب، أي تعطي حليباً. والنجيع: الدم. والنائل: العطاء والبزل، جمع بازل، وهي الناقة الشابة.

(٦) مروها: حلبوها. والعوالي: الرماح. واللبان الصدر.

مقيمين لا تعتادُ إلا وجدتهم
كما بالرّحا مِن صامتين صخور
إذا ناء منهم كوكبٌ غار كوكبٌ
لأنّ النّدى جمٌّ القراعِ مطير[1]

* * *

(رأت فتية باعوا الإله نفوسهم)

ومن أروع الفخر ما قاله قطري بن الفجاءة، أحد أشهر شعراء الخوارج وخطبائهم المصقعين؛ قال هذا الشعر يوم دولاب، بين الخوارج والأحنف بن قيس، وهو يعتبر من أصدق الشعر لجهة توقد العاطفة، وفيض النفس العاشقة البطلة. يقول قطري مخاطباً أم حكيم[2]:

لَعمرُكَ إني في الحياةِ لَزاهدٌ
وفي العيشِ ما لمْ ألقَ أمَّ حكيمِ
مِنَ الْخفراتِ البيضِ لم يُر مثلُها
شفاءً لِذي بثٍّ ولا لسقيم[3]

(١) ناء: نزل وهبط وغرب. وجم: كثير.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٢١٧ ـ ٢١٨.
(٣) البث: الحزن.

لعمرُكَ إني يومَ ألطمُ وجهَها
على نائباتِ الدهرِ جِدٌّ لئيم

ولو شهدتْني يومَ دولابَ أبصرتْ
طعانَ فتىً في الحربِ غيرِ ذميم[1]

غداةَ طغتْ عَلْماءِ بكرُ بنُ وائلٍ
وعجنا صدورَ الخيلِ نحوَ تميم[2]

وكان لعبدِ القيسِ أول جَدّها
وأحلافِها مِن يَحْصُبٍ وسليم[3]

وظلّتْ جيوشُ الأزدِ في حَوْمةِ الوغى
تقومُ وظِلْنا في الجلادِ نعوم[4]

فلم أر يوماً كان أكثرَ مُقْعصاً
يمجُّ دماً مِن فائظٍ وكليم[5]

---

(١) دولاب، اسم أعجمي غير منصرف، وينصرف للضرورة الشعرية. وذميم: مذموم.

(٢) علماء: الأصل، على الماء. وهذا جائز، لالتقاء لامين، فتحذف إحداهما استثقالاً للتضعيف، وما بقي يدل على المحذوف.

(٣) عبد القيس، ويحصب وسليم، أسماء قبائل عربية.

(٤) الأزد، اسم قبيلة عربية، والوغى: الحرب.

(٥) مقعصاً، من القعص، وهو الطعن. والفائظ: الميت. والكليم: المجروح.

وضاربةٍ خدّاً كريماً على فتىً
أغرَّ نجيبِ الأمّهاتِ كريم

أُصيبَ بدولابٍ ولم تكُ موطناً
له أرضُ دولابٍ وديرُ حميم

فلو شهدتْنا يومَ ذاك وخيلُنا
تبيحُ مِن الكفّارِ كلَّ حريم

رأتْ فتيةً باعوا الإلٰه نفوسَهم
بجنّاتِ عدْنٍ عندَه ونعيم

* * *

(فصبراً في مجال الموت صبراً)

ومن رائع فخر قطري، وجيده، قوله[1]:

أقولُ لها وقد طارتْ شَعاعاً
مِنَ الأبطالِ ويحَكِ لنْ تُراعي[2]

فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ
على الأجلِ الذي لكِ لن تُطاعي

فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً
فما نَيْلُ الخلودِ بمستطاع

(١) ديوان الحماسة ١/٢٤ ـ ٢٥.

(٢) أقول لها، أي للنفس. وشعاعاً: متفرقاً. تراعي: تفزعي.

ولا ثـوبُ الـبـقـاءِ بـثـوبِ عـزٍّ
فيُـطوى عن أخي الخنعِ اليـراع[1]
سبيـلُ الـمـوتِ غـايـةُ كـلِّ حيٍّ
فـداعـيـه لأهـلِ الأرضِ داعـي
ومـنْ لا يـعـتـبطْ يـسـأمْ ويـهـرمْ
وتـسلمْـه الـمنـونُ إلى انقـطاع[2]
ومـا لـلـمـرءِ خـيـرٌ فـي حـيـاةٍ
إذا مـا عُـدَّ مِن سقطِ الـمـتـاع[3]

* * *

(لا يركنن أحد إلى الإحجام)

ومن جيد فخر قطري الحماسي قوله[4]:

لا يـركـنـنْ أحـدُ إلـى الإحـجـامِ
يـوم الـوغـى متـهيـبـاً لِحـمـامِ[5]
فـلقـد أرانـي لـلرمـاحِ دريئـةً
مِنْ عـنْ يـمـيـنـي تـارةً وأمـامـي

---

(١) الخنع: الذل. واليراع: الجبان.

(٢) يعتبط: يموت من غير علّة.

(٣) سقط المتاع: الشيء الذي لا قيمة له.

(٤) زهر الآداب ٢/١٠٢٨.

(٥) الحمام: الموت. والإحجام: التردد والتقهقر إلى الوراء.

حتى خضبتُ بمـا تـحــدَّرَ مِن دمـي
أكنــاف سـرجي أو عنــانَ لجـامي[1]

* * *

(مخرتها بمطايا غارة تخد)

وحدث أبو حاتم قال: أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد. فقال لي: ما معك؟ قلت: شعـر عروة. قـال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه فقير. قلت: ما معي شعر غيـره، فأنشدني؟ فأنشده شعر قطري بن الفجاءة، ثم عقب بالقول: هذا والله هو الشعر، لا ما يتعلل بـه من أشعار المخـانيث. والشعـر الفخـري هـذا وهـو من جيـد الفخـر وأروعـه، هـو التالي[2]:

يــا رُبَّ ظـلِّ عقــابٍ قـد وقيتُ بــهِ
مهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ[3]
وربَّ يــومٍ حمىً أرعـيت عـقــوتَــه
خيلي انتشــاراً وأطـرافُ القنـا قُصُـد
ويـوم لِهـوٍ لأهـلِ الخفضِ ظـلَّ بــهِ
لهـوي اصـطلاءَ الـوغى والنـارُ تتقـدَ

(١) العنان: الرسن. واللجام: ما يلجم به فم الدابة.
(٢) زهر الآداب ٢/١٠٢٧ ـ ١٠٢٨.
(٣) العقاب: الجبل. وتجتلد: يجلد بعضها بعضاً.

مشهّـراً مـوقفي والحـربُ كـاشفـةٌ
عنهـا القنـاعَ وبحـرُ المـوتِ يـطّرد
وربَّ هـاجـرةٍ تـغـلي مـراجـلُهـا
مخـرْتُهـا بمـطايـا غـارةٍ تَخِـدُ[1]
فـإنْ أمتْ حتفَ أنفي لا أمتْ كمـداً
على الطعانِ وقصرُ العاجـزِ الكمدُ[2]
ولم أقل لم أسـاقِ المـوتَ شـاربـه
فـي كـأسِـه والمنـايـا شُـرَّعٌ وُرُد

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٣٢ م)

(وأحيا الوئيد فلم يوأد)

أشهر ما ميز الفرزدق هجاؤه، ثم فخره الذي اخترنا منه هذه الأبيات والمقطعات التي تعتبر من أروع الفخر وجيده.

يقول الفرزدق مفتخراً بجده صعصعة الذي لقب بمحيي المؤودات، اللائي كنّ يدفنّ أحياء[3]:

وجدّي الذي منعَ الوائداتِ وأحيا الوئيدَ فلم يُوْأَدِ

(١) تخد: تسرع.
(٢) مات حتف أنفه. إذا مات على فراشه.
(٣) الفرزدق، ص ٨.

(أبي أحد الغوثين)

ويقول مفتخراً في المعنى نفسه:

أبي أحدُ الغوثْين صعصعةُ الذي
متى تخلف الجوزاءُ والنجمُ يُمطرِ
أجارَ بناتِ الوائدين ومَن يُجرْ
على القبرِ يعلمْ أنه غيرُ مخفرِ[1]

* * *

(أروني من يقوم لكم مقامي)

ويقول مفتخراً بلوعة متحدّية وهو على فراش الموت:

أروني من يقوم لكم مقامي
إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب
إلى من تفزعون إذا حثوتم
بأيديكم عليّ من التراب[2]

* * *

(يجرّون هدّاب اليماني)

ومن رائع فخره قوله في بني قومه بني دارم:

---

(١) المصدر نفسه ص ٩.

(٢) نفسه ص ٥٦.

بنــو دارمٍ قــومي تــرى جُحْــزاتِهــم
عتــاقــاً حــواشيهــا رقــاقــاً نعــالُهــا
يجــرّون هــدّابَ اليمــاني كــأنــهم
سيــوفٌ جلا الأطبــاعَ عنها صقــالُها[1]

* * *

(أولئك آبائي)

ومن رائع فخره ونادره وأجزله قوله متحدياً جريراً:

أولئــك آبــائي فـجئْني بـمـثـلِهِـمْ
إذا جمعتْنـا يـا جــريـرُ المجــامـعُ[2]

* * *

(وتخالنا جنّا إذا ما نجهل)

ومن أشهر فخر الفرزدق وأروعه قوله مفتخراً بقومه، وبنفسه وشاعريته[3]:

إن الــذي سمــكَ السمــاءَ بنى لنــا
بـيـتــاً دعــائـمُــه أعــزُّ وأطــولُ[4]

---

(١) نفسه ص ٧٧. والأطباع: جمع طبع، وهو الصدأ. وأنظر: العقد الفريد، ١٩٣/٢ ـ ١٩٤. ط دار الكتاب العربي.

(٢) الفرزدق ص ٧٩.

(٣) الفرزدق ١٠١ ـ ١٠٤.

(٤) سمك: رفع.

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى
حكمُ السماءِ فإنه لا ينقل
بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائهِ
ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشل[1]
يلجون بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا
برزوا كأنهم الجبالُ المُثَّل
الأكثرون إذا يُعدُّ حصاهمُ
والأكرمون إذا يُعدّ الأول
حللُ الملوكِ لباسُنا في أهلنا
والسابغاتُ إلى الوغى نتسربل
أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً
وتخالُنا جِنّا إذا ما نجهل
وهب القصائدَ لي النوابغُ إذ مضَوْا
وأبو يزيدَ وذو القروحِ وجرول[2]
والفحلُ علقمةُ الذي كانت له
حللُ الملوكِ كلامه لا ينحل

---

(١) زرارة، ابن عدس، من مشاهير بني دارم قوم الفرزدق. ونهشل ومجاشع: ابنا دارم.

(٢) النوابغ: الذبياني، والجعدي، والشيباني. وأبو يزيد، هو المخبل. وذو القروح هو امرؤ القيس. وجرول، الحطيئة.

وأخـو بـنـي قـيسٍ وهـنّ قـتـلنـه
ومـهـلهـلُ الـشـعـراءِ ذاك الأول

* * *

بشّار بن برد (ت ١٦٦ هـ/ ٧٨٣ م)

(إنّا ردى من نحاربه)

يعد بشار بن برد، الشاعر العباسي المميز، أول المولدين، وآخر المتقدمين من الإسلاميين. ومع أن أصله فارسي، وهو من الموالي، إلا أنه انتسب إلى قيس عيلان التي افتخر بها، مـدخلاً نفسه فيها، ويدل على ذلك هذه الأبيـات الفخريـة الرائعة(١):

لعلّكَ تستـدْني بسيـرِكَ في الـدُّجـا
أخـائقـةٍ تُجـدي عليـك منـاقبُـهْ(٢)

منَ الحيّ ِ قيسٍ قيسِ عيـلانَ إنـهم
عيـونُ النّدى منهم تُـروَّى محـالبـه

وسـامٍ لمـروانٍ ومِن دونـه الشجـا
وهول كلجّ ِ البحرِ جـاشتْ غواربـه(٣)

---

(١) ديوان بشار، ص ٣٥. طبعة القاهرة.

(٢) الدجا: الظلام. والمناقب: الفضائل والشمائل.

(٣) غواربه: أمواجه. وجاشت: اضطربت.

أحلّتْ بـه أمُّ المنـايـا بنـاتِهـا

بـأسيـافنـا إنّـا ردى مَن نحـاربـه

ومـا زال منـا ممسـكٌ بمـدينـةٍ

يـراقبُ أو ثغرٍ تُخـافُ مـرازبـه[1]

إذا الـملكُ الـجبـارُ صعّـر خـدَّه

مشيْنـا إليـه بـالسيـوفِ نعـاتبـه

وكنّـا إذا دبَّ العـدوُّ لسخـطِنـا

وراقبنـا فـي ظـاهـرٍ لا نـراقبـه

ركبنـا لـه جهـراً بكـلِّ مثـقّفٍ

وأبيضَ تستسقي الـدمـاءَ مضـاربـه

وجيشٍ كجنحِ الليلِ يرجفُ بالحصى

وبـالشّولِ والخـطّيِّ حمرٍ ثعـالبه[2]

غـدوْنـا لـه والشمس في خـدرِ أمّهـا

تـطالعُنـا والـطّلُّ لـم يجـر ذائبـه

بضـربٍ يذوق المـوتَ مَن ذاق طعمه

وتـدركُ من نجّـى الغـرار مثـالبـه

---

(١) الثغر: الموضع المتقدم الذي يدافع عنه. والمرازب، جمع مرزبان، وهو سيد القوم.

(٢) الثعالب، جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان.

كـأنّ مثـارَ النقـعِ فـوق رؤوسهـم
وأسيـافنـا ليـلٌ تهـاوى كـواكبـه

* * *

(أين في الناس أب مثل أبي)

ومن جيد فخر مهيار الديليمي، الشاعر العباسي المحدث، وهو من أصل فارسي، قوله:

أعـجبـتْ بي عـنـدَ نـادي قـومِهـا
أمُّ سُعـدى فمضتْ تسـألُ بـي[1]
سـرَّهـا مـا عـلمتْ عـن خـلقـي
فـأرادتْ عـلمَهـا مـا حسـبـي
لا تـخـالـي حسبـاً يخفضُـنـي
أنـا مَـن يُـغنيـكِ عنـدَ النسب
قـومَي اسْتولـوا على الـدهـر فتىً
ومـضـوا فـوقَ رؤوسِ الحـقـب
وأبـي كـسـرى عـلى إيـوانِـه
أيـنَ في النـاسِ أبٌ مثـلُ أبـي[2]

(١) أم سعدى، اسم المرأة التي يحبها.

(٢) الإيوان: القصر الملكي. وكسرى، واحد الأكاسرة ملوك فارس في القديم.

قد ورثتُ المجدَ عن خيرِ أبٍ
ووَرِثْتُ الدِّينَ عن خيرِ نبي
فضمَمْتُ المجدَ مِن أطرافِه
سُؤدَدَ الفرسِ ودينَ العرب[1]

* * *

(١) السؤدد: الرفعة والمجد.